الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام وآثاره في تفسير القرآن الكريم

- روايات العقيدة مثالاً -

الدكتور الشيخ عماد الكاظمي
العتبة الكاظمية المقدسة - مركز الكاظمية لإحياء التراث - العراق
emadalkadhimi@yahoo.com

البحث الأول الفائز بجائزة باب الحوائج وكاظم الغيظ الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام
الدولية للإبداع الفكري

Imam Mousa Al-Kadhim, and His Legacy in the Exegesis of Holy Quran Narrations of Islamic Faith , As a Sample

Dr. Sheikh imad Al-Kadhimi
Kadhimiya Heritage Revival Center , Kadhimain Holy Shrine , IRAQ

الملخص:

إنَّ للمسلمين تراثاً كبيراً حافلاً بما تحتاجه الإنسانية في أدوارِ حياتها المختلفة، ويُعد القرآن الكريم أساس ذلك الإرث الإسلامي لأنه من عند الله تعالى العليم الحكيم، حيث جعل للبشرية نظاماً متكاملاً يحقق لهم سعادتهم ويهديهم إلى الصراط السوي في جميع تلك المجالات، وذلك من خلال تعاليمه التي تضمَّنها القرآن الكريم وكذا السنة النبوية الشريفة.

فالقرآن الكريم هو الدستور السماوي الذي ينظم حياة المسلمين وشؤونهم؛ لأجل ذلك كان الاهتمام به تلاوةً وفهماً وتعلُّماً من أهمِّ أولويات المسلمين في التعامل مع كتاب ربهم في جميع العصور منذ اليوم الأول لنزولِ الوحي إلى يومنا، وقد كانت البذرة الأولى لذلك هي تلك التعاليم المقدسة التي كانت من قبل النبي صلى الله عليه وآله والتي حثت على تلاوةِ القرآنِ وفهم معانيه والتدبرِ في آياته واتّخاذه إماماً في كُلِّ مفاصل الحياة، فكانت سيرته صلى الله عليه وآله تجسِّدُ معاني القرآن الكريم حيث كان يؤكد ذلك الاهتمام من خلال تلاوة القرآن على أصحابه وتفسيره لهم آيةً آيةً، بل كلمةً كلمةً ليفهموا كلام الله أولاً، وليؤكد لهم على عظمته وقدسيته وأهميته في حياتهم، وتُعَدُّ هذه أولى أدوار تفسير القرآن الكريم والذي يُعرف اصطلاحًا بـ(التفسير بالمأثور)، ثم تابع ذلك بخطوات عدة منها الاهتمام الخاص ببعض أصحابه وأهل بيته في معرفةِ حقيقةِ القرآنِ وفهم أسرارهِ ومعانيه؛ لينشروا ذلك بين المسلمين، وقد تجلى هذا الاعتناء في كثرة الأحاديث الواردة حول القرآن الكريم، وما ورد عنهم في تفسير آياته كونهم عِدْلَ القرآنِ الكريم والأعرفَ بفهم مقاصدهِ ومعانيه..

الكلمات المفتاحية: الإمام موسى بن جعفر الكاظم، تفسير القرآن الكريم، روايات العقيدة، التفسير بالمأثور، مناهج التفسير.

Abstract:-

Muslims own a very great heritage, abundant with all that mankind needs in the different stages of its history. The Holy Quran represents the foundation of that Islamic heritage, because it comes from Allah, the Almighty, the One Who is perfect in knowledge and wisdom. It sets for mankind a complete system that ensures their happiness and leads them to the right path in every aspect of life through the teachings included in the Holy Quran and the Holy Sunna (Prophetic Traditions).

Since the Holy Quran is considered the Divine Constitution that regulates the affairs of Muslims in their everyday life, it has been, throughout the ages since the first day of revelation, a top priority for Muslims to recite, understand and learn it. The first seed sown for that was the sacred teachings of the Prophet (SAAW) which emphasized the significance of reciting the Quran, understanding its texts, reflecting its verses and setting it as a beacon of guidance in every aspect of life. The conduct of the Prophet (SAAW) was an embodiment for the connotations of the Holy Quran. He used to emphasize the significance of the Quran through reciting it to his companions, interpreting it verse by verse, or even word by word, so that they might understand the word of Allah, and be assured of its high status, sacredness, and importance in their lives. That was the first phase that the exegesis of the Holy Quran went through; known as (exegesis with reference to the Sunna). Then, he followed that with more advanced steps when he singled his household and some of his loyal companions out for some special knowledge and secrets of Holy Quran so that they would disseminate the same among other Muslims. That special care was manifested in the traditions on the Holy Quran and its interpretation abundantly reported by them, as they represent the truthful interpreters of Quran, and the most knowledgeable in disclosing its meanings and connotations.

Key words: Imam Mousa Al-Kadhim, Exegesis of the Quran, narrations of Islamic faith, exegesis with reference to the Sunna, Exegetical Methodology.

تمهيد:

أثر التفسير بالمأثور في رفد التفاسير القرآنية.

يعد التفسير بالاعتماد على الروايات الشريفة الواردة عن النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام والصحابة هو منهج من مناهج التفسير للقرآن الكريم، والذي يُعرف بـ(التفسير بالمأثور)، ويمكننا أنْ نتعرف على ذلك بإيجاز من خلال بيان معنى (التفسير، والأثر) كما ذكره العلماء، فالتفسير هو: ((كَشْفُ الْمُرَادِ عَنِ اللَّفْظِ الْمُشْكِلِ))[١]، أو هو: ((عِلْمٌ يُعْرَفُ بِهِ فَهْمُ كِتَابِ اللهِ الْمُنْزَلِ عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ "صلى الله عليه [وآله] وسلم"، وَتَبْيِينُ مَعَانِيهِ، وَاسْتِخْرَاجُ أَحْكَامِهِ وَحِكَمِهِ))[٢]، والأثر فهو: ((أَعَمُّ مِنَ الْخَبَرِ وَالْحَدِيثِ، وَقِيلَ: مُسَاوٍ لِلْخَبَرِ))[٣]، فيكون هذا التفسير استناده إلى الروايات فقط، وهو تفسير مهم ويجب على المفسر للقرآن الكريم أنْ يكون على اطلاع واسع بالروايات التفسيرية للآيات المباركة، قال السيد الطباطبائي (ت١٤٠٣هـ/١٩٨٢م) في بيان ذلك: ((إنَّ واجبَ المفسِّرِ هو ملاحظةُ الأحاديثِ الواردةِ في التفسيرِ عن النبيِّ صلى الله عليه وآله وأئمة أهل البيت عليهم السلام، والغورُ فيها؛ ليعرفَ طريقَتَهم، ثم يفسِّرَ القرآنَ الكريمَ بالمنهجِ الذي يستفادُ من الكتابِ والسنةِ، ويأخذَ بالأحاديثِ التي توافقُ الكتابَ، ويطرحُ ما عداها))[٤].

والموروث الروائي التفسيري كثير جداً وقد تضمنته كتب الأحاديث والتفاسير، فالتفسير بالمأثور هو أول تفاسير المسلمين؛ حيث اعتمد الروايات المباركة في معرفة مراد الله تعالى، والإمام الكاظم عليه السلام له روايات في بيان ذلك، وهذه هي محاولة لاستقراء تلك الروايات وما يُفاد منها من موضوعات متعددة، فلا يخفى ضعف الدراسات والبحوث في ذلك - كما أرى -، إذ أغلب ما يتم بيانه هو الإفادة من جانب معيَّن من تلك الروايات التفسيرية في جهة الموروث الروائي لبيان المراد القرآني كمصداق أو شاهد، ولكن هذه الصفحات هي محاولة استنطاق الرواية التفسيرية في جهات متعددة، نرجو أنْ تكون ناجحة في بيان تلك الآثار الكبيرة للتفسير بالمأثور في رفد التفاسير القرآنية، اعتماداً على الروايات الواردت في الكتب الحديثية المعتبرة، التي نقل الرواية فيها الأصحاب الثقات، وقد ذكرت ترجمتهم اعتماداً على المصادر الرجالية.

المطلب الأول

الكفر والشرك بالله تعالى

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾[٥].

- عن علي بن أسباط، عن موسى بن بكير[٦]، قال: سألت أبا الحسن [الكاظم] عليه السلام عن الكفرِ والشركِ، أيهما أقدم؟

قال: فقال لي: ما عهدي بك تخاصم الناس.

قلت: أمرني هشام بن سالم [٧] أنْ أسألك عن ذلك.

فقال لي: الكفر أقدم وهو الجحود، قال الله تعالى: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾[٨].

إنَّ الرواية التفسيرية الشريفة تبحث عن موضوعين مهمين من الموضوعات التي تحدث عنها علماء الكلام في مؤلفاتهم بتفصيلٍ، فضلاً عن المفسرين، وهما: (الكفر، والشرك)، فـ(الكفر) يطلق على مَنْ ((يجحدُ بالوحدانيةِ، أو النبوةِ، أو الشريعةِ، أو ثلاثتها))[٩] و(الشرك) يطلق على من ((أثبتَ شريكًا لله تعالى))[١٠].

وقد وردت رواية في الموضوع نفسه عن الإمام الباقر عليه السلام قوله: ((والله إنَّ الكفرَ لأقدمُ من الشركِ، وأخبثُ، وأعظمُ))[١١].

أولًا: أقسام الكفر.

يقسم الكفر على أقسام خمسة كما ورد في الرواية الشريفة عن الإمام الصادق عليه السلام:

١- كفر الجحود مطلقًا بالربوبية. وهو قول من يقول: لا رب ولا جنة ولا نار وهو قول صنفين من الزنادقة يقال لهم: الدهرية وهم الذين يقولون: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾[١٢].

٢- كفر الجحود مع المعرفة. وهو أنْ يجحد الجاحد وهو يعلم أنه حق، قد استقر عنده، كما قال تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾[١٣].

٣- كفر النعم. كما قال تعالى يحكي قول سليمان: ﴿قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾[١٤].

٤- كفر ترك ما أمر الله عز وجل به. وهو قول الله عز وجل: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ-إلى قوله- أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾[١٥].

٥- كفر البراءة. كما قال تعالى يحكي قول إبراهيم: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا﴾[١٦]. يعني: تبرأنا منكم[١٧].

من خلال هذه الأقسام الخمسة للكفر في القرآن الكريم يتبين أنَّ كفر إبليس كان من القسم الرابع في معصية الله عز وجل، كما واضح من سيرته وآعتراضه على السجود لما أمره الله تعالى لآدم، قال السيد عبد الأعلى السبزواري (ت١٤١٤هـ/١٩٩٣م) تعقيبًا على رواية الإمام الكاظم عليه السلام: ((والمراد من قوله: "وهو الجحود" لا بد وأنْ يحمل على جحود الطاعة، لا جحود أصل الذات))[١٨].

وهناك روايات كثيرة قد أكدت على بيان الكفر وأقسامه، وما يتعلق به، نذكر منها ما روي عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: ((إنَّ الله عز وجل فرض فرائض موجبات على العباد، فمن ترك فريضة من الموجبات فلم يعمل بها وجحدها كان كافرًا))[١٩].

ثانيًا: أقسام الشرك.

والشرك يقسم على قسمين كما ذكر العلماء، وهما: الشرك الجلي، والشرك الخفي، قال الراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ/١١٠٨م): ((وشرك الإنسان في الدين ضربان: أحدهما: الشرك العظيم، وهو إثبات شريك لله تعالى، يقال أشرك فلان بالله وذلك أعظم كفر، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا﴾[٢٠]، والثاني: الشرك الصغير، وهو مراعاة غير الله معه في بعض الأمور، وهو الرياء والنفاق المشار إليه بقوله: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾[٢١]))[٢٢].

ومما ورد من الروايات الشريفة في التحذير منه، ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله: ((إنَّ الشرك أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ليلة ظلماء))[٢٣].

المطلب الثاني

العدل الإلهي ونفي الظلم

قال تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[٢٤].

- عن محمد بن الفضيل [٢٥]، عن أبي الحسن الماضي [٢٦] عليه السلام قال: ألا ترى أنَّ الله يقول: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾، قال: إنَّ اللهَ أعزُّ وأمنعُ من أنْ يظلمَ، أو ينسبَ نفسَهُ إلى ظلمٍ، ولكنَّ اللهَ خَلَطَنا بنفسِه، فجعلَ ظُلْمَنا ظُلْمَهُ، وولايَتَنا ولايَتَهُ[٢٧].

إنَّ هذا المقطع [٢٨] من الرواية التفسيرية الشريفة يمكننا أنْ نبحث فيه من جانبين مهمين:

- أولاً: نسبة الظلم إلى الله تعالى.
- ثانيًا: العلاقة بين ولاية الله تعالى وولاية الأئمة عليهم السلام.

وهذا الجانبان مهمَّان جدًّا؛ لما لهما من علاقة بالمسائل العقائدية التي يجب على المسلمين معرفتها أولاً بالدليل، والاعتقاد والإيمان بها، والرواية الشريفة ذكرت ذلك إجمالاً، مع إشارات بيانية.

أولاً: نسبة الظلم إلى الله تعالى.

إنَّ ما يتعلق بالجانب الأول فالعقيدة الإسلامية قائمة على أنَّ الله تعالى عادلٌ، لا يظلم عباده مطلقًا، وهناك أدلة عقلية ونقلية تؤكِّد ذلك، ومنها:

- إنَّ مَنْ يفعل الظلم إما محتاجٌ إليه، أو مضطرٌ عليه، وكلاهما لا يليق بالله تعالى، فهو الغني المطلق، وهو واجب الوجود، حيث حاجة الموجودات كلها إليه.
- إنَّ الله لو لم يكن عادلاً، فقد يفعل الظلم -حاشاه تعالى-، وبذلك لا يمكنه أنَّ يحاسب ظالمًا على ظلمه؛ لأنه قد سَنَّ نظامه.

• العدل أمر يستحسنه العقل، والظلم قبيح يستقبحه العقل، وقد أجمع العقلاء على ذلك، والشارع سيد العقلاء.

وغير ذلك من الأدلة التي تؤكّد هذه العقيدة الثابتة الراسخة، قال السيد عبد الله شبر (ت١٢٤٢هـ/١٨٢٧م): ((العدلُ به يتمُّ التوحيدُ، وتتوقَّفُ عليه سائرُ الأصولِ من النبوةِ والإمامةِ والمعادِ.... إنه تعالى لا يفعل القبيح، ولا يترك الواجب؛ لما ثَبُتَ من قدرته على فعلِ الواجبِ، وتركِ القبيحِ، وعلمه بوجوبِ الواجبِ وحُسْنِه، وبقبحِ القبيحِ، وغناهُ عن كليهما))[٢٩]، ومما قاله الشيخ محمد رضا المظفر (ت١٣٨٣هـ/١٩٦٤م) في بيان عقائد الإمامية: ((ونعتقدُ أَنَّهُ سبحانَهُ لا يتركُ الحسنَ عندَ عدمِ المزاحَمَةِ، ولا يفعلُ القبيحَ؛ لأَنَّهُ تعالى قادرٌ على فعلِ الحسنِ، وتركِ القبيحِ.... فلا الحَسَنُ يتضرَّرُ بفعلِه حَتَّى يحتاجَ إلى تركه، ولا القبيحَ يفتقرُ إليه حتى يفعلَهُ، فلو كانَ يفعلُ الظلمَ والقُبْحَ -تعالى عن ذلك- فإنَّ الأمر في ذلكَ لا يخلو عن أربعِ صورٍ:

١- أَنْ يكونَ جاهلاً بالأمرِ، فلا يدري أَنَّهُ قبيحٌ.

٢- أَنْ يكونَ عالمًا به، ولكنَّهُ مجبورٌ على فعله، وعاجزٌ عن تركه.

٣- أَنْ يكونَ عالمًا به وغيرَ مجبورٍ عليه، ولكنَّهُ محتاجٌ إلى فعله.

٤- أَنْ يكونَ عالمًا به، وغيرَ مجبورٍ عليه ولا يحتاجَ إليه، فينحصرُ في أَنْ يكونَ فعْلُهُ لَهُ تشهِّيًا وعبثًا ولهوًا. وكُلُّ هذه الصورِ محالٌ على الله تعالى، وتستلزمُ النقصَ فيه، وهو محضُ الكمالِ، فيجبُ أَنْ نحكمَ أَنَّهُ منزَّهٌ عن الظلمِ، وفعلِ ما هو قبيحٌ))[٣٠].

وأما ما ورد من أدلة نقلية فمنها:

- قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[٣١].

- قال تعالى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾[٣٢].

- روي عن الإمام زين العابدين عليه السلام: ((وقَدْ عَلِمْتُ أَنَّهُ ليسَ في حُكْمِكَ ظلمٌ، ولا في نقمتِكَ عَجَلَةٌ، وإِنَّما يَعْجَلُ مَنْ يخافُ الفَوْتَ، وإِنَّما يحتاجُ إلى الظلمِ الضعيفُ، وقَدْ

تعاليتَ يا إلهي عَنْ ذلكَ عُلُوًا كبيرًا))[٣٣]، وغيرها من الأدلة.

إنَّ الإمام الكاظم عليه السلام أراد في حديثه الشريف التأكيد على هذه المسألة العقائدية التي أختلف المسلمون في بعض ما يتعلق بها، وقد ذكرت المؤلفات العقائدية ذلك بالتفصيل، والآية المباركة واضحة الدلالة في نفي ذلك عنه سبحانه، وهذا المقطع من الآية الشريف له علاقة بما قبله في الآية نفسها بقوله تعالى: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ وهذا ما ذكره المفسرون في تفاسيرهم.

وللمفسرين أقوال في بيان ما يتعلق بالآية المباركة نذكر منها:

١- قال محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ/٩٢٣م): ((ويعني بقوله: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾، وما وضَعوا فعلَهُمْ ذلكَ وعصيانَهُمْ إيَّانا موضعَ مضرةٍ علينا، ومنقصةٍ لنا، ولكنَّهُمْ وضعوهُ من أنفسهِمْ موضعَ مضرةٍ عليها، ومنقصةٍ لها.... وكذلكَ ربُّنا جَلَّ ذكرُهُ، لا تضرُّهُ معصيةُ عاصٍ، ولا يتحيَّفُ خزائنَهُ ظلمُ ظالمٍ، ولا تنفعُهُ طاعةُ مطيعٍ، ولا يزيدُ في ملكه عدلُ عادلٍ، بَلْ نفسَهُ يظلمُ الظالمُ، وحَظَّها يبخسُ العاصي، وإيَّاها ينفعُ المطيعُ، وحَظَّها يصيبُ العادلُ)). [٣٤]

٢- قال الشيخ الطوسي (ت٤٦٠هـ/١٠٦٨م): ((المعنى إنَّما يتصلُ بما قبلَهُ بتقديرِ محذوفٍ فكأنَّهُ قال: فخالفوا ما أمرَ اللهُ بهِ، أو كفروا هذه النعمةَ، " ﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾ قال ابن عباس: وما نقصونا، ولكن كانوا أنفسهُمْ ينقصون، وقال غيره: معناه وما ضرونا، ولكن كانوا أنفسهُمْ يضرُّونَ)). [٣٥]

ثانيًا: العلاقة بين ولاية الله تعالى وولاية الأئمة عليهم السلام.

إنَّ ما يتعلق بالجانب الثاني حول ولاية الأئمة عليهم السلام فلا يخفى أنَّ الله تعالى جعل خلفاء أئمة أثني عشر حافظين للشريعة الإسلامية المقدسة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، كُلٌّ يؤدي دوره في حفظ الأمة من الضلال، وقد أكَّد القرآن الكريم ذلك في ولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عند نزول قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾[٣٦]، قال الشيخ الطبرسي (ت٥٤٨هـ/١١٥٣م): ((وهذهِ الآيةُ من أوضحِ الدلائلِ

على صحةِ إمامةِ عليٍّ بعدَ النبيِّ بلا فصلٍ، والوجهُ فيه أنَّهُ إذا ثبتَ أنَّ لفظةَ (وليُّكُم) تفيدُ مَنْ هُوَ أولى بتدبيرِ أمورِكُمْ ويجبُ طاعتَهُ عليكُمْ، وثبتَ أنَّ المرادَ بـ(الَّذين آمَنُوا) عليٌّ ثبتَ النصُّ عليهِ بالإمامةِ ووضحَ، والذي يدلُّ على الأولِ هو الرجوعُ إلى اللغةِ فمَنْ تأمَّلها علمَ أنَّ القومَ نَصَّوا على ذلك، ثم الذي يدلُّ على أنَّها في الآيةِ تفيدُ ذلكَ دونَ غيرِه أنَّ لفظةَ (إنَّما) على ما تقدمَ ذكره تقتضي التخصيصَ ونفيَ الحكمِ عمَّنْ عدا المذكورِ)) [٣٧] فولاية الإمام هي ولاية الله تعالى؛ لأنه الواسطة بين الله تعالى وعباده في بيان أوامره ونواهيه، ومَنْ يقوم بأيِّ عملٍ تجاه الإمام من إحسان أو إساءة فهو يعود على الله عز وجل، قال المولى المازندراني (ت١٠٨١هـ/١٦٧١م) في شرحه لهذا المقطع: ((﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ لرجوعِ جزاءِ الظلمِ إليهم، وجعلِ ولايتنا للمؤمنينَ ولايتَهُ حيثُ قال: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ يعني الأئمة، ثم أنزلَ بذلكَ -أي بجعلِ ظُلْمنا ظلمَهُ مجازاً، أو بضَمِّنا إلى نفسه إظهاراً لشرفنا- قرآنًا على نبيِّه، والغرضُ نفيُ الظلمِ عَنِ الأئمةِ إلا أنَّهُ ضَمَّهُمْ إلى نفسه))[٣٨].

فالرواية الشريفة تؤكِّد المعنى المتقدم من مقامهم، ومنزلتهم عند الله تعالى، وأنَّهم يمثِّلون الله في الأرض، وقد روي في ذلك عن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث طويل: ((وأما قوله: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ فهو تباركَ اسمهُ أجلُّ وأعزُّ من أنْ يظلم، ولكنَّهُ قَرَنَ أُمناءَهُ على خلقه بنفسه، وهُوَ عرَّفَ الخليقةَ جلالَةَ قدرهِمْ عندهُ، وأنَّ ظلمَهُمْ ظُلْمَهُ بقوله: (وَمَا ظَلَمُونَا) ببغضِهِمْ أوليائِنا، ومعونَةِ أعدائِهِم عليهِمْ، ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ إذ حرموها الجنةَ، وأوجبوا عليها دخولَ النارِ))[٣٩].

فالأئمة عليهم السلام لهم مقام عظيم عند الله عز وجل، وهناك روايات متعددة قد ذكرت ذلك، منها: ((روي عن حَمْزَةَ بْنِ بَزِيعٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ الله [الصادق] فِي قَوْلِ الله عَزَّ وجَلَّ: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ فَقَالَ: إنَّ الله عَزَّ وجَلَّ لَا يَأْسَفُ كَأَسَفِنَا، ولَكِنَّه خَلَقَ أَوْلِيَاءَ لِنَفْسِه يَأْسَفُونَ ويَرْضَوْنَ، وهُمْ مَخْلُوقُونَ مَرْبُوبُونَ، فَجَعَلَ رِضَاهُمْ رِضَا نَفْسِه، وسَخَطَهُمْ سَخَطَ نَفْسِه؛ لأَنَّهُ جَعَلَهُمُ الدُّعَاةَ إِلَيْه، والأَدِلَّاءَ عَلَيْه، فَلِذَلِكَ صَارُوا كَذَلِكَ ولَيْس أَنَّ ذَلِكَ يَصِلُ إِلَى الله كَمَا يَصِلُ إِلَى خَلْقِه، لَكِنْ هَذَا مَعْنَى مَا قَالَ مِنْ ذَلِكَ، وقَدْ قَالَ: مَنْ أَهَانَ لِي وَلِيًّا فَقَدْ بَارَزَنِي بِالْمُحَارَبَةِ ودَعَانِي إِلَيْهَا.... ولَوْ كَانَ يَصِلُ إِلَى الله الأَسَفُ والضَّجَرُ وهُوَ الَّذِي

خَلَقَهُمَا وأَنْشَأَهُمَا لَجَازَ لِقَائِلٍ هَذَا أَنْ يَقُولَ إِنَّ الْخَالِقَ يَبِيدُ يَوْمًا مَا؛ لأَنَّهُ إِذَا دَخَلَهُ الْغَضَبُ والضَّجَرُ دَخَلَه التَّغْيِيرُ وإِذَا دَخَلَه التَّغْيِيرُ لَمْ يُؤْمَنْ عَلَيْه الإِبَادَةُ))[٤٠]، وفي رواية عَنْ أَسْوَدَ بْنِ سَعِيدٍ قَالَ: ((كُنْتُ عِنْدَ أَبِي جَعْفَرٍ [الباقر] فَأَنْشَأَ يَقُولُ ابْتِدَاءً مِنْه مِنْ غَيْرِ أَنْ أَسْأَلَه نَحْنُ حُجَّةُ اللهِ، ونَحْنُ بَابُ اللهِ، ونَحْنُ لِسَانُ اللهِ، ونَحْنُ وَجْهُ اللهِ، ونَحْنُ عَيْنُ اللهِ فِي خَلْقِه، ونَحْنُ وُلَاةُ أَمْرِ اللهِ فِي عِبَادِه)). [٤١]

المطلب الثالث

نفي الرؤية لله تعالى

قال تعالى: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾[٤٢].

عن محمد بن الفضيل قال: ((سَأَلْتُ أَبَا الْحَسَنِ عليه السلام هَلْ رَأَى رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، بِقَلْبِهِ رَآهُ، أَمَا سَمِعْتَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ أَيْ لَمْ يَرَهُ بِالْبَصَرِ، وَلَكِنْ رَآهُ بِالْفُؤَادِ))[٤٣].

إنَّ الرواية التفسيرية الشريفة تبيِّنُ مسألة عقائدية مهمة لها علاقة بنفي صفات الجسمية عن الله تعالى؛ لأنها من صفات السلب التي لا تليق بتوحيده تعالى، وهذه المسألة قد اختلف المسلمون فيها على قولين: الأول: يرى استحالة رؤيته في الدنيا والآخرة وهو رأي الإمامية، والآخر: يرى رؤيته في الآخرة من دون الدنيا وهو رأي الأشعرية (مذاهب العامة)، ولأجل أنْ نكون على بينة من مداليل هذه الرواية الشريفة للإمام الكاظم عليه السلام، النافية للرؤية البصرية لله تعالى من قبل رسوله صلى الله عليه وآله وغيره، نبحث عن ذلك في موضوعات ثلاثة:

١- تفسير الآية ضمن السياق العام.

٢- الأحاديث الواردة في الرؤية وعدمها.

٣- أقوال علماء الكلام في الرؤية.

أولاً: تفسير الآية المباركة.

إنَّ المفسرين قد ذكروا ما يتعلق بالآية ومناقشتها من وجوه متعدد، وقبل أنْ نبيِّن ذلك ينبغي الإشارة إلى أنَّ كلمة (مَا كَذَبَ) قد وردت قراءتها بالتخفيف (مَا كَذَبَ)، وبالتشديد (ما كَذَّبَ) [٤٤]، وأما ما ورد في التفاسير:

١- قال الشيخ الطوسي: ((إنَّهُ لم يكذبْ فؤادُ محمدٍ [صلى الله عليه وآله] ما رآهُ بعينِه [من آيات ربه]، يعني لم يكذبْ محمدٌ بذلكَ، بل صَدَّقَ به، والفؤادُ القلبُ، وقالَ ابنُ عباسٍ: يعني ما رأى بقلبه، وقالَ الحسنُ: إنَّهُ رأى ربَّهُ بقلبِه، وهذا يرجعُ إلى معنى العلمِ، ومعنى (مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ) أي: ما توهَّمَ أنَّه يرى شيئًا، وهُوَ لا يراهُ من جهةِ تخيُّلِه لمعناهُ، كالرائي للسرابِ بتوهُّمِه ماءً، ويرى الماءَ منْ بعيدٍ فيتوهَّمَهُ سرابًا.... والفرقُ بينَ الرؤيةِ في اليقظةِ وبينَ الرؤيةِ في المنامِ، أنَّ رؤيةَ الشيءِ في اليقظةِ إدراكُهُ بالبصرِ على الحقيقةِ، ورؤيتُهُ في المنامِ لصورةٍ في القلبِ على توهُّمِ الإدراكِ بحاسَّةِ البصرِ، من غيرِ أنْ يكونَ كذلكَ))[٤٥].

إنَّ هذا التفسير الذي ذكره الشيخ رحمه الله فيه بيان إلى أنَّ الرؤية هي قلبية وليست بصرية، وأنها في اليقظة حقيقة، وهذا فيه دفاع عن مقام النبي صلى الله عليه وآله في قوله برؤيته مطلقًا، وفيه بيان لصدقه وفضله، وقد وجَّه قول الحسن بما يلائم العقيدة الحقة في رؤية الله تعالى، فالرؤية الوارد في تفسير الحسن يراد بها العلم في المقام، وليس رؤية البصر.

٢- قال الشيخ الطبرسي: ((مَنْ قرأَ (كَذَّبَ) بتشديدِ الذالِ فمعناهُ ما كذبَ قلبُ محمدٍ صلى الله عليه وآله ما رآهُ بعينِه تلكَ الليلةَ، بل صَدَّقَهُ وحقَّقَهُ، ومَنْ قرأَ بالتخفيفِ فمعناهُ ما كذبَ فؤادهُ فيما رأى.... ومعنى كَذَبَتْكَ عينُكَ أرتْكَ ما لا حقيقةَ له، فعلى هذا يكونُ المعنى لَمْ يكذبْ فؤادُهُ ما أدركَهُ بصرُهُ، أي كانتْ رؤيتُهُ صحيحةً غيرَ كاذبةٍ، وإدراكًا على الحقيقةِ، و يشبهُ أنْ يكونَ الذي شَدَّدَ أرادَ هذا المعنى وأكَّدَهُ))[٤٦].

إنَّ رأي العلامة الطبرسي يطابق رأي الشيخ الطوسي فيما يتعلق بحقيقة الرؤية التي تطرقت إليها الآية المباركة، وقد ذكر الآراء التي تترتب على اختلاف القراءة في كلمة (كذب)، وفي ذلك بيان إلى حقيقة ما جرى لرسول الله صلى الله عليه وآله في تلك الواقعة.

٣- قال الفخر الرازي (ت٦٠٦هـ/١٢٠٩م): ((الرائي في قوله: (مَا رَأَى) هو الفؤادُ أو البصرُ أو غيرُهُما؟ نقولُ فيه وجوهٌ: الأول: الفؤادُ. كأنَّهُ تعالى قال: ما كذبَ الفؤادُ ما رآهُ الفؤادُ، أي لم يقل: إنَّهُ جنِّيٌّ أو شيطانٌ، بل تيقنَ أنَّ ما رآهُ بفؤادِه صدقٌ صحيحٌ. الثاني: البصرُ. أي ما كذبَ الفؤادُ ما رآهُ البصرُ، ولم يقل: إنَّ ما رآهُ البصرُ خيالٌ. الثالث: ما كذبَ الفؤادُ ما رأى محمدٌ "عليه الصلاة والسلام"، وهذا

على قولنا الفؤادُ للجنسِ ظاهرٌ، أي القلوبُ تشهدُ بصحة ما رآهُ محمدٌ "صلى الله عليه [وآله] وسلم" من الرؤيا، وإنْ كانتِ الأوهامُ لا تعترفُ بها))[٤٧].

إنَّ الفخر الرازي قد فصَّل الكلام في الموضوع تفصيلاً يرى إفادته من الآية، وإنْ كان يرى إمكانية حصول الرؤية البصرية.

وإنَّ الشيخين الطوسي والطبرسي قد ذهبا إلى أنَّ المراد بالمرئي هو ما أخبر به النبي صلى الله عليه وآله المسلمين بما رآه ليلة الإسراء والمعراج[٤٨]، وأما الفخر الرازي فقال: ((المسألة الرابعة: ما المرئي في قوله: (مَا رَأَى)؟ نقولُ على الاختلافِ السابقِ والذي يحتملُ الكلامُ وجوهٌ ثلاثَةٌ: الأول: الربُّ تعالى. والثاني: جبريل عليه السلام. والثالث: الآيات العجيبة الإلهية))[٤٩]، والسيد الطباطبائي ذكر أنَّ المرئي هو الآيات الكبرى فقال: ((وليسَ في الآيةِ ما يدلُّ على أنَّ متعلقَ الرؤيةِ هُوَ اللهُ سبحانَهُ، وأنَّهُ المرئيُّ لهصلى الله عليه وآله، بَلْ المرئيُّ هُوَ الأُفُقُ الأعلى، والدُّنُوُّ، والتدلِّي، وأنَّهُ أوحى إليه، فهذه هِيَ المذكورةُ في الآياتِ السابقة، وهِيَ آياتٌ لَهُ تعالى، ويؤيِّدُ ذلكَ ما ذكرَهُ تعالى في النزلةِ الأُخرى من قوله: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى * لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾[٥٠]))[٥١]، ولكنه مع رأيه المتقدم في بيان حقيقة المرئي بأنه غير الله تعالى آستناداً إلى السياق القرآني للآيات المباركة، يذكر إمكانية أنْ ينطبق على رؤية الله تعالى القلبية، فيقول: ((على أنَّها [الرؤية] لو دلَّتْ على تعلُّقِ الرؤيةِ بِهِ تعالى لم يَكُنْ بِهِ بأسٌ؛ فإنَّها رؤيةُ القلبِ، ورؤيةُ القلبِ غيرُ رؤيةِ البصرِ الحسيَّةِ التي تتعلقُ بالأجسامِ، ويستحيلُ تَعَلُّقُها بِهِ تعالى))[٥٢].

ثانيًا: الروايات الواردة في الرؤية.

إنَّ الروايات هي على نوعين، الأولى التي تمنع ذلك وهو ما ورد عن النبي والأئمة عليهم السلام تمسكًا للآيات المباركة التي تنزهه عن ذلك، ومنها التي تجوز رؤيته، بل تؤكدها، فضلاً عن أنَّها تصف الله بأوصاف - تعالى عنها علواً كبيراً -، ونذكر ذلك بإيجاز:

- عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((جاءَ حَبْرٌ إلى أميرِ المؤمنينَ "صلوات الله عليه" فقال: يا أميرَ المؤمنينَ هَلْ رأيتَ ربَّكَ حينَ عَبَدْتَهُ؟ قالَ: فقالَ: وَيْلَكَ ما كنتُ أعبدُ ربًّا لَمْ أَرَهُ. قالَ: وكيفَ رأيتَهُ؟ قالَ: وَيْلَكَ لا تدركهُ العيونُ في مشاهدةِ الأبصارِ، ولكن رأتهُ القلوبُ بحقائقِ الإيمانِ[٥٣].

- عن عاصم بن حميد، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((ذاكرتُ أبا عبد الله عليه السلام فيما يروونَ من الرؤية، فقال: الشمسُ جزءٌ من سبعينَ جزءً من نورِ الكرسيِّ، والكرسيُّ جزءٌ من سبعينَ جزءً من نورِ العرشِ، والعرشُ جزءٌ من سبعينَ جزءً من نورِ الحجابِ، والحجابُ جزءٌ من سبعينَ جزءً من نورِ الستر، فإنْ كانوا صادقينَ فليملؤوا أعينَهُمْ من الشمسِ ليسَ دونَها سحابٌ))[٥٤].

إنَّ هاتين الروايتين وغيرهما من الروايات المتعددة تؤكّد منهج الثقلين في بيان صفات الله تعالى، وهي موافقة لرواية الإمام الكاظم التفسيرية، والتي تؤكد على أنَّ حقيقة الرؤية له لا تتم بالعين الباصرة.

ومما ورد عن العامة المجوِّزين رؤيته تعالى في الآخرة:

- عن صهيب عن النبي (صلى الله عليه [وآله] وسلم) قالَ: ((إذا دخلَ أهلُ الجنة الجنةَ قال: يقولُ اللهُ تباركَ وتعالى: تريدونَ شيئًا أزيدكُم؟ فيقولونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وجوهَنا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنا الجنةَ، وتُنْجِنَا منَ النارِ؟ قال: فيكشفُ الحجابَ فما أُعْطَوا شيئًا أَحبَّ إليهِمْ منَ النظرِ إلى ربِّهِم عَزَّ وجلَّ)). [٥٥]
- عن عطاء بن يزيد الليثي أنَّ أبا هريرة أخبره أنَّ ناسًا قالوا لرسولِ الله "صلى الله عليه [وآله] وسلم": ((يا رسولَ اللهِ هل نَرى ربَّنا يومَ القيامة؟ فقال رسولُ الله "صلى الله عليه [وآله] وسلم" هل تضارُّونَ في رؤيةِ القمرِ ليلةَ البدرِ؟ قالوا: لا يا رسولَ الله.... فيأتيهُمُ اللهُ تباركَ وتعالى في صورةٍ غيرِ صورتِه التي يعرفون فيقول: أنا ربُّكُمْ. فيقولونَ: نعوذُ باللهِ منكَ هذا مكانُنا حتى يأتينا ربُّنا، فإذا جاءَ ربُّنا عرفناهُ، فيأتيهِمُ اللهُ تعالى في صورتِه التي يعرفونَ فيقول: أنا ربُّكُم. فيقولونَ: أنتَ ربُّنا فيتبعونَهُ ويضربُ الصراطَ بين ظَهْرَي جهنَّمَ فأكونُ أنا وأُمَّتي أَوَّلَ مَنْ يجيزَ ولا يتكَلَّمُ يومئذٍ إلا الرسل))[٥٦].

إنَّ هاتين الروايتين وغيرهما الواردتين في رؤية الله يوم القيامة تخالف عقيدة التوحيد الخالصة، التي تنزهه عن الجسمية، فضلاً عمَّا ورد في القرآن الكريم من آيات تنفي انطباق تلك الصفات عليه.

ثالثًا: أقوال علماء الكلام في الرؤية.

إنَّ العلماء قد ذكروا آستحالة رؤيته تعالى في مباحثهم الكلامية عند بيان صفاته تعالى، قال العلامة الحلي (ت٧٢٦هـ/١٣٢٦م) في كتابه "منهاج اليقين" في البحث الحادي عشر "في أنه تعالى يستحيل أنْ يكون مرئيًا": ((مَنْ علمَ شيئًا ثُمَّ رآهُ تجدَّدَتْ لَهُ حالةً لَمْ يكنْ حالةُ العلم، وهل هي نفسُ تأثُّرِ الحاسة، أو أمرٌ زائدٌ عليه.... ونازعَ فيه الأشاعرةُ كافة، وزعموا أنَّهُ تعالى مرئيٌّ مع أنَّهُ ليس في جهة، فإنْ عَنَوا بالرؤية العلمَ فقد مضى البحثُ في أنَّهُ هَلْ تُعلم حقيقتُهُ أم لا؟ وإنْ عَنَوا بها الأمرَ الحاصلَ عندَ المقابلةِ فهو منتفٍ في حقِّه، وإنْ عَنَوا بها شيئًا ثالثًا فهو غيرُ معقولٍ))[٥٧].

وقال الشيخ جعفر السبحاني في بيانه أدلة آمتناع الرؤية: ((إنَّ الرؤيةَ إنَّما تَصُحُّ لِمَنْ كانَ مقابلاً، أو في حكم المقابِلِ، والمقابلةُ إنَّما تتحققُ في الأشياءِ ذواتِ الجهة، واللهُ تعالى منزَّهٌ عنها، فلا يكونُ مرئيًا، وبعبارةٍ أخرى إنَّ المرادَ من الرؤيةِ إما حقيقتُها، أعني الإدراكَ بحس البصرِ، وهو مستلزمٌ لإثباتِ الجهةِ لَهُ تعالى بالضرورة....))[٥٨].

إنَّ ما تقدم من أقوال المفسرين والمتكلمين تؤكد الرواية التفسيرية للإمام الكاظم عليه السلام حول آنتفاء رؤية الله تعالى بالبصر، وإنما كان بفؤاده صلى الله عليه وآله، وهذا ما حاولت بيانه بما يتعلق بهذه الرواية، وفي ذلك دلالة واضحة جلية على وحدة منهج الثقلين (القرآن والعترة) في تبليغ أحكام الشريعة الإسلامية، وبيانها للناس، فضلاً عن الحفاظ عليها من التحريف والتزييف.

المطلب الرابع

مقام النبي صلى الله عليه وآله في الأمة

قال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[٥٩].

عن محمد بن الفضيل عن أبي الحسن [موسى بن جعفر] قال: ((سَأَلْتُهُ عَنْ قَوْلِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾، قَالَ: تُعْرَضُ عَلَى رَسُولِ اللهِ "عَلَيْهِ وَآلِهِ السَّلامُ" أَعْمَالُ أُمَّتِهِ كُلَّ صَبَاحٍ أَبْرَارُهَا وَفُجَّارُهَا فَاحْذَرُوا))[٦٠].

إنَّ الرواية التفسيرية الشريفة تبين مسألة مهمة من المسائل التي تتعلق بمقام رسول الله صلى الله عليه وآله

والأئمة عليهم السلام عند الله تعالى، وفي الأمة، وما يترتب على ذلك من حقوق وواجبات يجب على المسلمين مراعاتها، وإنَّ مسألة عرض الأعمال عليهم تشمل النبي والأئمة عليهم السلام، فالرواية وإنْ كانت قد خَصَّت رسول الله، ولكن هناك روايات أخرى قد ذَكَرَتْهُم، والجمع بين هذه الروايات يؤكِّد شمولهم جميعًا بهذا المقام العظيم، والحديث بهذا التفسير للآية قد ورد بأسانيد متعددة عن الأئمة عليهم السلام وبيان مصاديقه، ففي الرواية عن الإمام الباقر عليه السلام أنَّ الأعمال تعرض على النبي والأئمة الذين فرض الله طاعتهم [٦١]، وفي الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام قد ذكر أنَّ المراد بـ(وَالْمُؤْمِنُونَ) هم الأئمة عليهم السلام [٦٢]، وأخرى هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام[٦٣]، وهذه الروايات واضحة الدلالة في أنَّ النبي والأئمة عليهم السلام لهم مقام عظيم عند الله تعالى، وأنَّهم أمناؤه على عباده، وعرض الأعمال عليهم، إذ لا يخلو زمان من حجة، وفي ذلك كمال العناية الإلهية بعباده من حيث عدم الانقطاع بين النبي أو الإمام والمؤمنين.

أولاً: أقوال المفسرين في الآية المباركة.

ذكر المفسرون ما يتعلق بهذه الآية المباركة أقوالاً متعددة حول انطباق قوله تعالى: (وَالْمُؤْمِنُونَ) على مصاديقه، نذكر منها إجمالاً:

١- قال الشيخ الطوسي: ((وروي في الخبر أنَّ أعمالَ الأُمَّة تُعْرَضُ على النبيِّ صلى الله عليه وآله في كُلِّ اثنين وخميس فيعرِفُها، وكذلكَ تعرضُ على أئمةِ الهُدى عليهم السلام فيعرفونَها، وهم المعنيُّونَ بقوله: (وَالْمُؤْمِنُونَ))[٦٤].

وأضاف الشيخ الطبرسي إلى ما تقدم: ((قيلَ: أرادَ بالمؤمنينَ الشهداءَ، وقيلَ: أرادَ بهم الملائكةُ الذينَ هم الحفظةُ الذينَ يكتبونَ الأعمالَ))[٦٥].

إنَّ هذا الكلام يبيِّن أنَّ الأقوال الأساسية في ذلك ثلاثة، وأحد هذه الأقوال هو ما يؤيده في الرواية التفسيرية للإمام الكاظم عليه السلام، فإنَّها تبيِّن انطباق المؤمنين على الأئمة عليهم السلام.

٢- قال الفخر الرازي: ((في الجوابِ ما ذكره أبو مسلم: إنَّ المؤمنينَ شهداءُ اللهِ يومَ القيامةِ كما قال: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾[٦٦] والرسولُ شهيدُ الأمةِ كما قال: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾[٦٧] فثبتَ أنَّ الرسولَ

والمؤمنينَ شهداءُ الله يومَ القيامة، والشهادةُ لا تصحُّ إلا بعدَ الرؤية، فذكرَ اللهُ أنَّ الرسولَ عليه السلام والمؤمنينَ يرونَ أعمالهُمْ، والمقصودُ التنبيهُ على أنَّهُمْ يشهدونَ يومَ القيامةِ عندَ حضورِ الأولينَ والآخرينَ، بأنَّهُمْ أهلُ الصدقِ والسدادِ والعفافِ والرشادِ))(٦٨).

إنَّ ما تقدم من كلامه لم يبيِّن المراد من قوله تعالى: (وَالْمُؤْمِنُونَ) بجهة خاصة، بل جعل الأمر في المؤمنين عامة، فضلاً عن حصره في يوم القيامة، وهذا غير تام من خلال التأمل في سياق النص القرآني، فإذا كان الأمر يدور حول المؤمنين عامة وأنَّهم يرون أعمال الخلائق فما هي خصوصية ذلك في ذكر الله تعالى لهم، فالأعمال ستكون بارزة لجميع الخلائق من المؤمنين وغيرهم يوم القيامة، كما وصف الله تعالى هذا الأمر في كثير من الآيات المباركة، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا * وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا * وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ * فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا * وَيَصْلَى سَعِيرًا * إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا * إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ * بَلَى إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا﴾(٦٩)، وقال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ * فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ﴾(٧٠)، فضلاً عن أنَّ حصر الرؤية في يوم القيامة لا مبرر لها، فإنه أمر بديهي، وقد ذكر السيد الطباطبائي في ذلك قوله: ((إنَّهُمْ إنَّما يوقفونَ على حقيقةِ أعمالِهِمْ يومَ البعثِ، وأمَّا قبلَ ذلكَ فإنَّما يرونَ ظاهرَها، وذكْرُ رؤيةِ الله و رسولِه والمؤمنينَ أعمالَهُمْ قبلَ يومِ البعثِ في الدنيا، وقد ذُكرَ اللهُ مع رسولِه وغيرِه وهو عالِمٌ بحقائقِها، ولهُ أنْ يوحيَ إلى نبيه بها، كأنَّ المرادَ بها مشاهدةُ الله سبحانَهُ ورسولُهُ والمؤمنونَ حقيقةَ أعمالِهِمْ، وكأنَّ المرادَ بالمؤمنينَ شهداءُ الأعمالِ منهم، لا عامَّةَ المؤمنينَ، كما يدلُّ عليه أمثالُ قولِه تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾(٧١).

إنَّ الرواية التفسيرية الشريفة تؤكِّد مسألة مهمة تتعلق بمراقبة الإنسان لنفسه في جميع أقواله وأفعاله، الظاهرة والباطنة، فإنها ظاهرة لله تعالى، وللنبي صلى الله عليه وآله وللأئمة الشهداء على الخلق عليهم السلام، ولو أنَّ الإنسان جعل هذا الأمر نصب عينيه وتفكيره مع مراقبة لنفسه فإنه سوف يكون في أحوال مناسبة من تهذيب النفس، وتطهيرها من أمراض متعددة، ظاهرة وباطنة، لها أثر في الابتعاد عن رضوان الله تعالى، فضلاً عن أنَّ في يوم القيامة سيكون كُلُّ

ISSN 1997-6208 Print
ISSN 2664 - 4355 Online

شـيء ظـاهر للخلائـق كُلِّهـا، وأهميـة الأمـر تكمـن في تحـذير الإمـام الكـاظم عليه السلام بقولـه: ((فاحذروا))، فإنَّ أمره بالحذر دلالة على خطره ويحتاج إلى تأمل وتفكر.

ومن لطيف ما قاله السيد الطباطبائي رحمه الله بعد بيانه ما يتعلق بالآية المباركة: ((فالآيَةُ مسوقَةٌ لندبِ الناسِ إلى مراقبَةِ أعمالِهِمْ بتذكيرِهِمْ أنَّ لأعمالِهِمْ من خيرٍ أو شَرٍّ حقائقُ غيرُ مستورَةٍ بسترٍ، وأنَّ لها رقباءَ شهداءَ سيطَّلِعُونَ عليها، ويرونَ حقائقَها، وهم رسولُ الله، وشهداءُ الأعمالِ مِنَ المؤمنينَ، واللهُ من ورائِهِمْ محيطٌ، فهو تعالى يَراها وهم يرونَها، ثُمَّ أَنَّ اللهَ سبحانَهُ سيكشِفُ عنها الغطاءَ يومَ القيامَةِ للعاملينَ أنفسِهِمْ، كما قال: ﴿لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾(٧٢)، ففرقٌ عظيمٌ بين أنْ يأتِيَ الإنسانُ بعملٍ في الخلوةِ لا يَطَّلعَ عليه أَحَدٌ، وبينَ أنْ يعملَ ذلكَ العملَ بعينِهِ بينَ ملإٍ مِنَ الناظرينَ جلوةً، وهو يرى أَنَّهُ كذلكَ))(٧٣).

ومما ورد من الآيات في ذلك ما رواه الزيات عن الإمام الرضا عليه السلام: ((قال: قلت للرضا عليه السلام: اُدعُ اللهَ لي ولأهل بيتي. فقال: أَوَ لستُ أفعلُ؟ واللهِ إنَّ أعمالَكُمْ لَتُعْرَضُ عَلَيَّ في كُلِّ يومٍ وليلةٍ. قال: فاستعظمتُ ذلكَ. فقال لي: أَمَا تقرءُ كتابَ اللهِ عز وجل: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾؟ قال: هو والله علي بن أبي طالب عليه السلام))(٧٤).

ثانيًا: الآثار المترتبة على مراقبة النفس.

من خلال ما تقدم من أقوال الأعلام فيما يتعلق بشهود الله والنبي والأئمة على جميع أعمال الخلائق في الدنيا، يمكن القول أنَّ الآية في مقام الترغيب والترهيب، فالإنسان المؤمن في غاية السرور عند علمه بأنَّ أعماله الصالحة ونواياه يطلع عليها أشرف المخلوقات بعد الله تعالى، فيكون ذلك حافز على العمل ونوعيته وإخلاصه، ويكون في موضع ترهيب عندما يعلم الإنسان أنْ لا خفاء عن أي عمل سيء يقوم به، وإنْ كان بعيدًا عن أعين الناس، خافيًا عنهم، قوله وفعله ونيته، ولكن هناك شهود كرام عليه.

وإنَّ الروايات الشريفة الواردة في مراقبة النفس وتهذيبها كثيرة ومتعددة، وقد تضمنت الموسوعات الحديثية ذلك، وما فيها من ثواب عظيم، فقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله في الحث على العمل والاستعداد للآخرة: ((يَا مَعْشَرَ الْمُسلِمِيْنَ شَمِّرُوْا فَإِنَّ الْأَمْرَ جِدٌّ، وَتَأَهَّبُوْا فَإِنَّ

ISSN 1997-6208 Print
ISSN 2664 - 4355 Online

الرَّحِيلَ قَرِيبٌ، وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ السَّفَرَ بَعِيدٌ، وَخَفِّفُوا أَثْقَالَكُمْ فَإِنَّ وَرَاءَكُمْ عَقَبَةً كَؤُودًا، لا يَقْطَعُهَا إِلَّا الْمُخِفُّونَ)) (٧٥)، وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام: ((عَلَيْكُمْ بِالْجِدِّ وَالاجْتِهَادِ، وَالتَّأَهُّبِ وَالاسْتِعْدَادِ، وَالتَّزَوُّدِ فِي مَنْزِلِ الزَّادِ، وَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ كَمَا غَرَّتْ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِنَ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ وَالْقُرُونِ الْخَالِيَةِ)) (٧٦)، وروي عن الإمام الكاظم عليه السلام: ((لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يُحَاسِبْ نَفْسَهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ، فَإِنْ عَمِلَ حَسَنًا اسْتَزَادَ اللهَ، وَإِنْ عَمِلَ سَيِّئًا اسْتَغْفَرَ اللهَ مِنْهُ وَتَابَ إِلَيْهِ))(٧٧)، وغيرها من روايات ينبغي علينا معرفتها؛ لتكون أعمالنا أعمالاً صالحةً نفخرُ بها عند عرضها على النبي وآله عليهم السلام.

المطلب الخامس

الولاية وآثارها

قال تعالى: ﴿وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾(٧٨).

عن محمد بن الفضيل قال: ((سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: ﴿وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ قال: نَحْنُ الْعَلامَاتُ، وَالنَّجْمُ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله))(٧٩).

إنَّ الرواية التفسيرية الشريفة تبيِّنُ مسألة مهمة لها علاقة بمقام أهل البيت وفضلهم عليهم السلام من خلال كتاب الله تعالى، وما في ذلك من آثار ينبغي التمسك بها، ولأجل أنْ نكون على بينة من مدلول هذه الرواية الشريفة للإمام الكاظم، نبحث عن ذلك في موضوعين:

١- تفسير الآية المباركة ضمن السياق العام.

٢- الأحاديث الواردة في تفسير الآية المباركة.

أولاً: تفسير الآية المباركة.

إنَّ المفسرين قد ذكروا ما يتعلق بالآية ومناقشتها من وجوه متعدد، فمنها ما يتعلق بظاهرها، ومنها ما يتعلق بباطن الآية وعلاقته بحجج الله على عباده، فمن مفسري الشيعة ما ذكر أحد الموضوعين، ومنهم مَنْ ذكر الموضوعين مَعًا في تفسيره، وثالث ذكر الروايات التفسيرية، وأما مفسرو العامة فلم يذكروا إلا الوجه الثاني.

١- قال الشيخ القمي (ق٣) في تفسيره للآية المباركة عن الإمام الصادق: (("النَّجْمُ"

ISSN 1997-6208 Print
ISSN 2664 - 4355 Online

رَسُوْلُ الله صلى الله عليه وآله، وَالْعَلامَاتُ الْأَئِمَّةُ عليهم السلام))[٨٠].

إنَّ الشيخ القمي وبناء على منهجه في تفسيره القائم على التفسير بالمأثور من الروايات، قد فَسَّر الآية بهذه الرواية وفي ذلك يؤكد منهج الرجوع إلى الأئمة عليهم السلام في فهم النص القرآني، كونهم عدل القرآن الكريم كما نص عليه في حديث الثقلين.

وقد ورد مثل هذا التفسير في التفاسير الأخرى التي قام منهجها على تفسير الآيات بالمأثور عن الأئمة عليهم السلام، وهذا ما ذهب إليه غيره من المفسرين، من ذكر روايات متعددة تؤكد ما يتعلق بالأئمة عليهم السلام في هذه الآية المباركة، وما ورد في تفسيرها[٨١].

٢- قال الشيخ الطوسي: ((وقوله: ﴿وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ أي جعلَ لكم علامات. وقيل: إنَّها الجبالُ ونحوها. قال ابن عباس: يعني الجبال يُهتدى بها نهارًا، والنجمُ يُهتدى به ليلاً، وهو اختيار الطبري.

و(العلامة) صورةٌ يُعلم بها المعنى، من خطٍّ، أو لفظ، أو إشارة، أو هيئة، وقد تكونُ وضعيةً، وقد تكونُ برهانيةً. ﴿وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ فالنجمُ هُوَ الكوكبُ)). [٨٢]

إنَّ هذا التفسير الذي ذكره الشيخ رحمه الله هو بيان لما يحتمله السياق القرآني من معنىً عام، فضلاً عن تفسيره بالمأثور من روايات وردت في تفاسير العامة، ولم يذكر ما يتعلق بباطن الآية المباركة التي وردت الرواية في تفسيرها عن الإمام الكاظم، وقد فصَّل القول في بيان معنى (النجم)، والمعاني التي وردت فيه في القرآن الكريم، من خلال الآيات التي ورد ذكره فيها.

٣- قال الشيخ الطبرسي: ((وجعلَ لكُمْ علاماتٍ أي معالمَ تُعْلَمُ بها الطرقُ، وقيل: العلاماتُ الجبالُ يهتدى بها نهارًا. وبالنجم هم يهتدون ليلاً عن ابن عباس. والمرادُ بالنجمِ الجنسُ، أي جميعُ النجومِ الثابتة.... وقال أبو عبد الله عليه السلام نحنُ العلاماتُ، والنجمُ رسولُ الله صلى الله عليه وآله، وقالَ: إنَّ اللهَ جعلَ النجومَ أمانًا لأهلِ السماءِ، وجعلَ أهلَ بيتي أمانًا لأهلِ الأرضِ))[٨٣].

إنَّ تفسير الشيخ الطبرسي رحمه الله للآية المباركة قد جمع بين تفسير شيخه الطوسي والتفاسير الروائية، فقد ذكر ما تقدم مما ورد عن الطوسي، وذكر الرواية الواردة عن الإمام

الصادق عليه السلام في علاقة الآية المباركة بالنبي والأئمة، وأضاف إليها توضيح ذلك وعلاقته بحديث الأمان المشهور، ويمكن القول: إنَّهُ أراد عرض المنهجين للقارىء في تفسيره، من دون ترجيح أحدهما على الآخر، أو إمكانية القول بهما معًا.

وفيما يتعلق بالآية المباركة وكونها من التفسير غير الظاهر قال السيد الطباطبائي رحمه الله بعد ذكره للروايات الشريفة الواردة في تفسير الآية: ((وليسَ بتفسيرٍ، وإنَّما هو من البطنِ، ومِنَ الدليلِ عليهِ ما رواهُ الطبرسيُّ في المجمعِ، قال... [وذكر كلام الطبرسي المتقدم]))(٨٤).

٤- قال الفخر الرازي: ((والمرادُ بالعلاماتِ معالمُ الطرقِ، وهي الأشياءُ التي بها يهتدي، وهذهِ العلاماتُ هي الجبالُ والرياحُ.... والمرادُ بالنجمِ عن السُّدي هو الثريا، والفرقدانِ، وبناتُ نعشٍ، والجدي))(٨٥).

إنَّ الفخر الرازي -كما ذكرنا- من علماء العامة الذين لم يتطرَّقوا إلى مثل هذه الروايات التفسيرية الواردة بحق أهل البيت عليهم السلام، فقد فصَّل القول فيما يتعلق بهذه العلامات، والنجم والمراد منهما، كما هو عليه السياق ظاهراً.

ثانيًا: الروايات الواردة في تفسير الآية المباركة.

إنَّ الروايات الواردة من طرق أهل البيت عليهم السلام متعددة، وقد وردت في مصادر مختلفة، وبنصوص قد تتفاوت أحيانًا، ولكنها في المضمون نفسه، وقد وردت كلها عن الأئمة الصادق والكاظم والرضا عليهم السلام(٨٦)، وبعضها خصت العلامات بأمير المؤمنين نصًّا عليه، وأخرى بالأئمة إجمالاً، ويمكن بيانها كما يأتي:

١- المراد بالعلامات الإمام علي عليه السلام في حديث واحد، قولهم: ((النجم رسول الله صلى الله عليه وآله، والعلامات أمير المؤمنين))(٨٧).

٢- المراد بالعلامات الأوصياء عليهم السلام في أحاديث ثلاثة، قولهم: ((النجم رسول الله صلى الله عليه وآله، والعلامات الأوصياء))(٨٨).

٣- المراد بالعلامات الأئمة عليهم السلام في أحاديث سبعة، قولهم: ((النجم رسول الله صلى الله عليه وآله، والعلامات الأئمة)) وفي نص: ((ونحن العلامات))(٨٩).

إنَّ هذا العدد من الروايات التفسيرية الشريفة يؤكد مقام الأئمة وفضلهم، وأنَّهم ممن

جعلهم الله تعالى سبيل الهداية للناس، وهذا ما يشير إليه عدد غير قليل من الروايات الأخرى الواردة في بيان مقامهم، كرواية الثقلين، ورواية سفينة نوح، ورواية باب حطة وغيرها، والتي تجعل الباحث عند الجمع بين ألفاظها ومضمونها يصل إلى نتيجة واقعية تؤكد مقامهم من دون سواهم من الناس، فضلاً عن الآيات والروايات الخاصة الأخرى.

وذهب الشيخ محمد صالح المازندراني في شرحه لهذه الرواية التفسيرية إلى أنَّ هذا التفسير للآية يمكن أنْ يكون حقيقة، وليس مجازاً، فقال: ((إطلاقُ النجمِ على رسولِ الله، وإطلاقُ العلاماتِ على الأئمةِ يقربُ أنْ يكونَ من بابِ الحقيقةِ؛ لأنَّ النجمَ في الأصلِ الظاهرُ والطالعُ والأصلُ، والنجومُ: الظهورُ والطلوعُ وهو صلى الله عليه وآله ظاهرٌ من مطلعِ الحقِّ، وطالعٌ من أُفقِ الرحمةِ، وأصلٌ لوجودِ الكائناتِ، أخرجَهُ اللهُ تعالى من نورِه، وأظهرَهُ من معدنِ علمِه وحكمتِه، وجعلَهُ نورانيَّ الذاتِ والصفاتِ؛ لرفعِ ظلمةِ الجهالةِ في بيداءِ الطبائعِ البشريةِ، وفيفاءِ اللواحقِ الناسوتيةِ، والعلامةُ ما يعرفُ به الشيءُ، ومنهُ علامةُ الطريقِ التي وضعَها صاحبُ الدولةِ، والشفقةُ على خلقِ اللهِ تعالى لئلا يضلَّ المسافرونَ، والأئمةُ عليهم السلام علاماتٌ للطرقِ الإلهيةِ، والقوانينِ الشرعيةِ، والنواميسِ الربانيةِ، وضعَهُمُ النبيُّ صلى الله عليه وآله بأمرِ اللهِ تعالى؛ لئلا يضلَّ الناسُ بعدَهُ بالاهتداءِ بأطوارِهم، والاقتداءِ بآثارِهم، فالناسُ بأعلامِهم يرشدونَ، وبهدايتِهم يهتدونَ))[٩٠].

إنَّ ما تقدم من كلامه رحمه الله في بيان مقام النبي والأئمة عليهم السلام في الأمة مما لا يُنكر، ولا يمكن القول بغيره، فهم أعلام الدين، والصراط المستقيم، وحجج الله على العالمين، ولكن انطباق الرواية انطباقاً كلياً على ظاهر الآية المباركة لا يمكن اعتماده ابتداءً، من خلال السياق القرآني لها، فالآية في سياق بيان النعم الإلهية التي أنعم الله بها على عباده ظاهراً، من حيث تسخير البحر وما فيه، والبر وما فيه من جبال وأنهار، والجو في السماء وما فيه من علامات لهدايتهم في الليل والنهار، وهذا لا يعني نفي الرواية التفسيرية عن الإمام الكاظم عليه السلام، ولكن كما ورد في توجيه هذه الروايات في قول السيد الطباطبائي المتقدم.

المطلب السادس

الشفاعة

قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾[٩١].

عن محمد بن الفضيل عن أبي الحسن الماضي عليه السلام قال: ((سألته عن قول الله عز وجل: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ﴾ الآية قال: نَحْنُ وَالله الْمَأْذُوْنُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالْقَائِلُوْنَ صَوَابًا، قُلْتُ: مَا تَقُوْلُوْنَ إِذَا تَكَلَّمْتُمْ؟ قَالَ: نُمَجِّدُ رَبَّنَا، وَنُصَلِّي عَلَى نَبِيِّنَا، وَنَشْفَعُ لِشِيْعَتِنَا، فَلا يَرُدُّنَا رَبُّنَا))[٩٢].

إنَّ الرواية التفسيرية الشريفة تبيِّنُ مسألة مهمة لها علاقة بمقام أهل البيت وفضلهم عليهم السلام من خلال كتاب الله تعالى، وما في ذلك من آثار ينبغي التمسك بها، ولأجل أنْ نكون على بينة من مدلول هذه الرواية الشريفة للإمام الكاظم عليه السلام، نبحث عن ذلك في موضوعين:

١- تفسير الآية المباركة ضمن السياق العام.

٢- الشفاعة والأقوال فيها.

٣- الشفعاء.

أولاً: تفسير الآية المباركة.

إنَّ المفسرين قد ذكروا ما يتعلق بالآية ومناقشتها من وجوه متعدد، فمنها ما يتعلق بظاهرها، ومنها ما يتعلق بباطن الآية وعلاقته بحجج الله على عباده، فمن مفسري الشيعة ما ذكر أحد الموضوعين، ومنهم مَنْ ذكر الموضوعين معًا في تفسيره، وثالث ذكر الروايات التفسيرية، وأما مفسرو العامة فلم يذكروا إلا الوجه الثاني.

١- قال الشيخ الطبرسي: (((صَوَابًا) أَيْ شَهِدَ بِالتَّوْحِيْدِ، وَقَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَقِيْلَ: إِنَّ الْكَلَامَ هَا هُنَا الشَّفَاعَةُ، أَيْ لَا يَشْفَعُوْنَ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ أَنْ يَشْفَعَ عَنِ الْحَسَنِ وَالْكَلْبِيِّ، وَرَوَى مُعَاوِيَةُ بْنُ عَمَّارٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام قَالَ: سُئِلَ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ. فَقَالَ: نَحْنُ وَالله الْمَأْذُوْنُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ))[٩٣].

إنَّ تفسير الشيخ الطبرسي للآية المباركة قد جمع بين قول مشهور عن العامة في تفاسيرهم حيث المراد من الصواب كلمة التوحيد، وبين الروايات الواردة عن المعصومين في أنَّ المراد به هو الشفاعة أيضًا كما ذكر في بعض الروايات التفسيرية للأئمة عليهم السلام.

وقد وردت روايات متعددة في أنَّ المراد من القول الصواب في الآية المباركة هو كلمة التوحيد فقد ذكر الطبري ذلك[٩٤] فضلاً عمَّا سيأتي من الروايات التفسيرية في التفاسير الأخرى.

٢- قال الفخر الرازي: ((والمعنى لا يشفعونَ إلا في حَقِّ شخصٍ أذنَ لَهُ الرحمنُ في شفاعته، وذلكَ الشخصُ كانَ ممَّنْ قالَ صوابًا، واحتجَّ صاحبُ هذا التأويلِ بهذه الآيةِ على أنَّهم يشفعونَ للمذنبينَ؛ لأنَّهم قالوا صوابًا، وهو شهادةُ أنْ لا إله إلا الله؛ لأنَّ قوله: (وَقَالَ صَوَابًا) يكفي في صدقه أنْ يكونَ قد قالَ صوابًا واحدًا، فكيفَ بالشخصِ الذي قالَ القولَ الذي هو أصوبُ الأقوالِ، وتكلَّمَ بالكلامِ الذي هو أشرفُ الكلمات. القول الثاني: إنَّ الاستثناءَ غيرُ عائدٍ إلى الملائكةِ فقط، بل إلى جميعِ أهلِ السمواتِ والأرضِ. والمقولُ الأوَّلُ أولى؛ لأنَّ عودَ الضميرِ إلى الأقربِ أولى))[٩٥].

إنَّ كلامه واضح في أنَّ المراد من قوله (صَوَابًا) هو المعنى الذي ينطوي في هذا اللفظ، والذي قد ينطبق على مصاديق متعددة، وإنْ كان قد ذكر المراد منه هو كلمة التوحيد ابتداء، على الرغم من الإشارة بصراحة إلى موضوع الشفاعة الذي تشير إليه الآية المباركة.

٥- قال السيد الطباطبائي: ((وقوله: (وَقَالَ صَوَابًا) أي قالَ: قولاً صوابًا لا يشوبُهُ خطأٌ، وهو الحَقُّ الذي لا يداخلُهُ باطلٌ، والجملةُ في الحقيقةِ قيدٌ للإذنِ، والمرادُ بالصوابِ التوحيدُ وقولُ لا إلهَ إلا اللهُ، والمعنى لا يتكلمونَ في حَقِّ أحدٍ إلا في حَقِّ شخصٍ أذنَ لَهُ الرحمنُ، وقالَ ذلكَ الشخصُ في الدنيا صوابًا.... ومن هنا يظهرُ أنَّ المرادَ بالخطابِ الذي لا يملكونَهُ هو الشفاعةُ، وما يجري مجراها من وسائلِ التخلصِ من الشرِّ.... وبالجملةِ قوله: (لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا) ضميرُ الفاعلِ في (لَا يَمْلِكُونَ) لجميعِ المجموعينَ ليومِ الفصلِ منَ الملائكةِ والروحِ والإنسِ والجنِّ كما هو المناسبُ للسياقِ، الحاكي عن ظهورِ العظمةِ والكبرياءِ دونَ خصوصِ الملائكةِ والروحِ؛ لعدمِ سبقِ الذكرِ، ودونَ خصوصِ الطاغينَ كما قيلَ لكثرةِ الفصلِ، والمرادُ بالخطابِ الشفاعةَ وما يجري مجراها كما تقدمَ))[٩٦].

من خلال استعراض الأقوال الوارد في المراد من قوله (صَوَابًا) نكون بين معنيين ظاهرين، الأول وهو أكثر اشتهاراً حيث كلمة التوحيد، والآخر حيث الشفاعة، ويمكننا أنْ نبيِّن ما يأتي خلال التأمل في هذه التفاسير:

١- إنْ كان المراد هو كلمة التوحيد كما ورد في التفاسير فهل يُعقل أنَّ الله تعالى يأذن لمن لم يكن يؤمن بالتوحيد، فإنَّ مجرد إذنه تعالى فيه دلالة على مرتبة عظيمة

للمأذون له في مقام الإيمان والتصديق في عقيدته، بل يتفاوت ذلك حتى يصل إلى اليقين، فلا يحتاج إلى أنْ يقول (وَقَالَ صَوَابًا)، فإنَّ ذلك ينطوي ضمنًا في إذنه.

٢- إذا كانت كلمة التوحيد مقياسًا للتكلم في أحد شَقَّيْهِ القائم على عدم كلام أحد يوم القيامة إلا للذي (أذن له الرحمن + قال صوابًا)، فهل هناك مقياس للإذن الإلهي بعد أنْ تم معرفة المراد من (صَوَابًا) وهو كلمة التوحيد؟

٣- إنَّ تفسير (صَوَابًا) بكلمة التوحيد سيجعل كُلَّ مسلم مؤهَّلاً لأنْ يكون ممن يمكنه التكلم يوم القيامة بعد أنْ يتم الأذن له، ولكن هذا يخالف ظاهر الآيات والروايات التي كان لها موقف من المسلمين الذين لم يتمسكوا بتعاليم الشريعة المقدسة على الرغم من إسلامهم.

٤- إنَّ التفاسير المتقدمة لقوله (صَوَابًا) على ٱختلاف المعنى المراد تشير إلى مشاركة الناس للملائكة في ذلك الإذن الإلهي لهم، كما ذكر ذلك السيد الطباطبائي صراحة.

والظاهر من المفهوم العام لسياق الآية المباركة أنَّ الموقف العظيم الذي ستكون فيه الخلائق يوم القيامة كلها حيث وقوف الروح والملائكة بهيأة صفوف منتظمة يؤكد على مقام الامتثال بين يدي الله تعالى من قبل الملائكة له، وفي ذلك تذكير للعباد بمقام ٱمتثال الملائكة لله عز وجل وخضوعهم له، والإذن يوحي بأنَّه للملائكة وليس للناس على ٱختلاف مقاماتهم، وبذلك يكون الاستثناء في الآية ٱستثناء متصلاً، وهذا قائم على قراءة السياق الظاهري للآية المباركة من حيث هي في هذه السورة من دون الرجوع إلى آيات أخرى في المورد نفسه، ولكن في هذه الحالة يمكن أنْ نضع سؤالاً يترتب على ما تقدم مفاده: هل هناك روايات قد أكدت أو أشارت إلى أنَّ للملائكة دورًا في الحكم الإلهي يوم القيامة من حيث الشفاعة أو غيرها؟ أو يكون الإذن يشمل الناس مع الملائكة على الرغم من الاستثناء المتصل وعدم وجود ذكر للناس في الآية المباركة، ولكن هذا واضح الدلالة من خلال وجود روايات متعددة تدل على مقام الأنبياء والمرسلين وغيرهما يوم القيامة، فالآية عامة يراد بها الخاص، أو يمكن القول بأنَّ الاستثناء منقطعًا في الآية ولا يراد الإذن فيه للملائكة، بل للناس من دون سواهم إنْ لم تكن هناك إشارات قرآنية أو روايات تشمل الملائكة في

الشفاعة أو الإذن في الحكم يوم القيامة، والظاهر والله أعلم أنَّ المقام مختص بالناس وهم الأنبياء والأئمة عليهم السلام وليس الملائكة.

ثانيًا: الشفاعة والأقوال فيها.

إنَّ الشفاعة من الموضوعات المهمة التي تم بيانها في القرآن والسنة

١- قال الطبري: في تفسير قوله تعالى ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾(٩٧):
((قال حذيفة: أصحابُ الأعرافِ قومٌ تكافأتْ أعمالُهُمْ، فقصَّرتْ بهم حسناتُهُمْ عن الجنة، وقصَّرَتْ بهم سيئاتُهُمْ عَنِ النارِ، فجعلوا على الأعراف، يعرفونَ الناس بسيماهُمْ، فلما قُضيَ بينَ العبادِ، أذنَ لهم في طلبِ الشفاعة، فأتوا آدمَ عليه السلام، فقالوا: يا آدمُ، أنتَ أبونا فاشفعْ لنا عندَ ربِّكَ! فقالَ: هلْ تعلمونَ أحدًا خلقَهُ اللهُ بيده.... ولكن ائتوا محمدًا رسولَ الله "صلى الله عليه [وآله] وسلم! قالَ رسولُ الله "صلى الله عليه [وآله] وسلم": فيأتوني، فأضربُ بيدي على صدري، ثم أقولُ: أنا لها! ثم أمشي حتى أقفَ بين يدي العرشِ، فأثني على ربِّي، فيفتحُ لي من الثناء ما لم يسمعِ السامعونَ بمثله قطُّ، ثم أسجدُ فيقالُ لي: يا محمدُ ارفعْ رأسَكَ، سَلْ تُعْطَه، واشفعْ تُشفَّعْ! فأرفعُ رأسي فأقولُ: ربِّ أمَّتي! فيقالُ: هُم لَكَ، فلا يبقى نبيٌّ مرسلٌ، ولا ملكٌ مقرَّبٌ إلا غَبَطني يومئذٍ بذلكَ المقامِ، وهو المقامُ المحمودُ))(٩٨).

٢- قال الشيخ الطوسي في تفسير قوله تعالى ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾(٩٩): ((وقيل: إنَّ الغرضَ بذلكَ الإنكارُ على عبدةِ الأوثانِ، وقولُهُمْ: إنَّها تشفعُ؛ لأنَّ المَلَكَ إذا لم تغنِ شفاعتُه شيئًا فشفاعةُ مَنْ دونه أبعدُ من ذلكَ، وفي ذلكَ التحذيرِ من الاتّكالِ على الشفاعةِ؛ لأنَّه إذا لم يغنِ شفاعةُ الملائكة كانَ شفاعةُ غيرِهم أبعدُ من ذلكَ، ولا ينافي ما نذهبُ إليه من أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وآله والأئمةَ والمؤمنينَ يشفعونَ في كثيرٍ من أصحابِ المعاصي، فيسقطُ عقابَهُمْ لمكانِ شفاعتهِم؛ لأنَّ هؤلاءِ - عندنا - لا يشفعونَ إلا بإذنٍ من اللهِ ورضاهُ))(١٠٠).

٣- قال الزمخشري في تفسير قوله تعالى ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾(١٠١): ((ومعنى "المقام المحمود" المقام الذي يحمده القائم فيه، وكُلُّ مَنْ رآه وعرفه، وهو مطلق في

ISSN 1997-6208 Print
ISSN 2664 - 4355 Online

كُلِّ ما يجب الحمد من أنواع الكرامات، وقيل: المراد الشفاعة، وهي نوع واحد مما يتناوله. وعن ابن عباس "رضي الله عنهما": مقام يحمدك فيه الأولون والآخرون، وتشرف فيه على جميع الخلائق، تسأل فتعطى، وتشفع فتشفع، ليس أحد إلا تحت لوائك. وعن أبي هريرة عن النبي "صلى الله عليه [وآله] وسلم: هو المقام الذي أشفع فيه لأمتي))[١٠٢]. وقد ذكر الطبري روايات متعددة في أنَّ المقام المحمود هو الشفاعة[١٠٣].

وفيما يتعلق بالذين تشمله الشفاعة ذكر الشيخ الطبرسي رحمه الله في أنَّ الشفاعة هي مختصة في دفع المضار وإسقاط العقاب عن مستحقيه من مذنبي المؤمنين، وقالت المعتزلة هي في زيادة المنافع للمطيعين والتائبين دون العاصين [١٠٤]، وقد فصل العلامة السيد الطباطبائي رحمه الله ما يتعلق بالشفاعة ببحث مستفيض، تناولها من جوانبها المتعددة التي تغني الباحث فيها وما ورد من الآيات والروايات الدالة على وقوعها[١٠٥].

أما الروايات الواردة عن النبي والأئمة عليهم السلام في الشفاعة كثيرة نذكر منها:

- روي عن النبي صلى الله عليه وآله: ((إِنَّ اللهَ أَعْطَانِيْ مَسْأَلَةً، فَأَخَّرْتُ مَسْأَلَتِيْ لِشَفَاعَةِ الْمُؤْمِنِيْنَ مِنْ أُمَّتِيْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَفَعَلَ ذَلِكَ))[١٠٦].
- روي عن النبي صلى الله عليه وآله: ((شَفَاعَتِيْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَقٌّ، فَمَنْ لَمْ يُؤْمِنُ بِهَا لَمْ يَكُنْ مِنْ أَهْلِهَا))[١٠٧].
- روي عن الإمام الصادق عليه السلام: ((إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ نَشْفَعُ فِي الْمُذْنِبِيْنَ مِنْ شِيْعَتِنَا، فَأَمَّا الْمُحْسِنُوْنَ فَقَدْ نَجَّاهُمُ اللهُ))[١٠٨].

إنَّ في هذه الروايات الشريفة دلالة واضحة في وقوع الشفاعة يوم القيامة كما اتفق على ذلك المسلمون، فالحديث الأول يؤكد النبي صلى الله عليه وآله على المقام الذي ادخره الله لنبيه يوم القيامة، وفي ذلك كمال شرفها ومنزلته، وهناك روايات أخرى مثل ذلك قد بينت اختصاص النبي بهذا المقام الرفيع، من دون غيره من الأنبياء عليهم السلام، والرواية الثانية تصريح وإقرار من النبي صلى الله عليه وآله على أهمية الاعتقاد والإيمان بالشفاعة، بل هي حق من الحقوق الإلهية لنبيه وغيره لا بد من التصديق بها؛ لينتفع المؤمنون بهذا التصديق في يوم يكون الإنسان أشد

حاجة إلى شفاعة حجج الله على العباد، وفيها تحذير من إنكار الشفاعة لما يترتب على ذلك من حرمان ذلك الفضل والعطاء الإلهيين، وأما الرواية الثالثة ففيها بيان على مقام الأئمة عليهم السلام يوم القيامة وأدائهم للشفاعة بحق شيعتهم، فضلاً عن البشارة للشيعة في ذلك اليوم الذي ينفعهم الولاء والاتباع للأئمة عليهم السلام.

ومما ينبغي الإشارة إليه أنَّ هذه الروايات الدالة على الشفاعة للمذنبين لا تعني أنْ يقوم الإنسان بارتكاب المعاصي والذنوب اعتماداً على الشفاعة، بل تدل على عظمة رحمة الله تعالى بعباده، وحبه لهم، ورأفته بهم، مع وجوب عدم الإصرار على المعاصي؛ ليكون الإنسان مؤهَّلاً للشفاعة، وقد وردت روايات في أنَّ هناك من الأعمال السيئة التي تحرم الإنسان من الشفاعة.

ثالثًا: الشفعاء.

لقد وردت روايات متعددة في بيان الشفعاء يوم القيامة، نذكر منها:

١- النبي الأكرم صلى الله عليه وآله. وقد تقدمت الروايات الدالة على ذلك.

٢- الإمام علي عليه السلام. روي عن النبي صلى الله عليه وآله: ((إِنِّيْ أَشْفَعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأُشَفَّعُ، وَيَشْفَعُ عَلِيٌّ فَيُشَفَّعُ، وَيَشْفَعُ أَهْلُ بَيْتِي فَيُشَفَّعُوْنَ))(١٠٩).

٣- الأئمة عليهم السلام. وقد تقدمت الرواية.

٤- الأنبياء عليهم السلام. روي عن النبي صلى الله عليه وآله: ((ثَلَاثَةٌ يَشْفَعُوْنَ إِلَى الله عَزَّ وَجَلَّ فَيُشَفَّعُوْنَ: الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الْعُلَمَاءُ، ثُمَّ الشُّهَدَاءُ))(١١٠).

٥- العلماء. وقد تقدمت الرواية.

٦- الشهداء. وقد تقدمت الرواية.

٧- المؤمن. روي عن النبي صلى الله عليه وآله: ((فِي الْمُؤْمِنِيْنَ مَنْ يَشْفَعُ مِثْلَ رَبِيْعَةَ وَمُضَرَ، وَأَقَلُّ الْمُؤْمِنِيْنَ شَفَاعَةً مَنْ يَشْفَعُ لِثَلَاثِيْنَ إِنْسَانًا))(١١١).

وهناك من الأعمال التي تكون شافعة للإنسان يوم القيامة مثل: القرآن، الصيام، والرحم، والأمانة، وغيرها كما وردت في الروايات.

فالرواية التفسيرية ظاهرة البيان في موافقتها لمنهج الثقلين -القرآن والعترة- في الاعتقاد بالشفاعة كما ورد ذلك في الشريعة المقدسة من خلال الآيات المباركة والروايات الشريفة.

هذا ما حاولت بيانه بإيجاز حول الروايات التفسيرية للإمام الكاظم عليه السلام فأرجو أنْ تكون قراءة قرآنية جديدة لذلك التراث الروائي العظيم، وأنْ يوفقنا لإتمام مشروعنا مع الروايات الأخرى الواردة عن المعصومين عليهم السلام لتنهل الأمة من موارد العلم التي هي أهل لذلك، فتقبل اللهم بأحسن قبولك، إنك جواد كريم.

الخاتمة:

- إنَّ للأئمة عليهم السلام تراثًا روائيًّا عظيمًا قد تضمنته المجموعات الحديثية، ويحتاج إلى دراسته في حوانبه المتعددة؛ لنصل إلى جوانب معرفية تتلاءم مع الأدلة العقلية والنقلية في آستقراء المعرفة التامة لحاجة البشرية.
- لقد كان للإمام الكاظم عليه السلام أثر كبير في تربية وإعداد جيل من الرواة لهم القدرة على إيصال علوم الثقلين إلى الأمة، من خلال المنهج القويم لمدرسة أهل البيت في التعامل مع النص القرآني.
- إنَّ الباحث في نصوص الروايات الشريفة التي تضمنت تفسير آية مباركة يرى أنَّ بإمكانه الإفادة من هذه الرواية في أبواب معرفية متعددة أخرى غير التفسير، وهذا ما كان المنهج المراد الوصول إليه في هذه الدراسة.
- إنَّ التفسير بالماثور يعد المادة الأولى الأساس لكُلِّ مفسِّرٍ للقرآن الكريم، لا يمكنه تجاوزه؛ لما تضمنه من روايات لها علاقة بأسباب النزول، ومصاديقه، وأحكام خاصة معينة؛ لذا يجب على الباحثين دراسة ذلك التراث على وفق منهج علمي محدد، يمكن الإفادة فيه من جوانبه المختلفة.
- حاول الباحث أنْ يجعل الرواية التفسيرية إنطلاقة معرفية له في أبوابها المختلفة من خلال هذه الأمثلة المعينة في العقيدة؛ ليفتح المجال أمام الباحثين في الغور بهذا التراث الكبير، ويرى أنه قد حقق جزءاً معينًا من الانفتاح المعرفي في الروايات التفسيرية، وأوقد شمعة في طريق الباحثين للإفادة من ذلك على وفق المنهج الذي أعده له.

- يرى الباحث أهمية الاعتماد على الكتب الحديثية الموثوقة في الروايات التفسيرية، وأهمية معالجة الرواية على قدر المستطاع وفق علمي الحديث والرجال؛ لتكون الدراسة قد اعتمدت المنهج العلمي إجمالاً تارة، وتفصيلاً تارة أخرى في المعرفة الإنسانية عامة.

هوامش البحث

(١) الطبرسي، الفضل بن الحسن: مجمع البيان في تفسير القرآن ٣٥/١.
(٢) الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله: البرهان في علوم القرآن ٢٧/١.
(٣) جديدي نزاد، محمد رضا: معجم مصطلحات الرجال والدراية: ١٤.
(٤) الطباطبائي، محمد حسين: القرآن في الإسلام: ٧٠.
(٥) سورة البقرة: الآية ٣٤.
(٦) موسى بن بكر الواسطي، كوفي ممن يروي عن الإمام الصادق والكاظم 8، وقال موسى بن بكر هو الصحيح وليس بكير، وردت عنه روايات متعددة. ينظر: الخوئي، أبو القاسم: معجم رجال الحديث ٣١/٢٠.
(٧) هشام بن سالم الجواليقي الجعفي ممن يروي عن الإمام الصادق والكاظم 8، ثقة ثقة، له كتاب يرويه جماعة، ومن الأعلام الذي يؤخذ عنهم الحلال والحرام، الذين لا يُطعن عليهم بشيء. المصدر نفسه٣٢٤/٢٠.
(٨) الكليني، محمد بن يعقوب: الكافي ٣٨٥/٢ باب (الكفر) الحديث ٦.
(٩) الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد: مفردات ألفاظ القرآن: ٧١٤ (كفر).
(١٠) المصدر نفسه: ٤٥٢ (شرك).
(١١) الكليني: الكافي ٣٨٥/٢ باب (الكفر) الحديث ٢.
(١٢) سورة الجاثية: الآية ٢٤.
(١٣) سورة النمل: الآية ١٤.
(١٤) سورة النمل: الآية ٤٠.
(١٥) سورة البقرة: الآيتان ٨٤-٨٥.
(١٦) سورة الممتحنة: الآية ٤.
(١٧) الكليني: الكافي ٣٨٩/٢ باب (وجوه الكفر) الحديث ١.
(١٨) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ٢٤٠/١.

(١٩) الكليني: الكافي ٣٨٣/٢ باب (الكفر) الحديث ١.
(٢٠) سورة النساء: الآية ٤٨.
(٢١) سورة يوسف: الآية ١٠٦.
(٢٢) مفردات ألفاظ القرآن: ٤٥٢ (شرك).
(٢٣) الريشهري، محمد: ميزان الحكمة ١٩٠٨/٥.
(٢٤) سورة البقرة: الآية ٥٧.
(٢٥) محمد بن الفضيل الأزدي، الصيرفي، الكوفي، من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام، وورد أنَّهُ من أصحاب الإمامين الصادق والكاظم 8، له كتاب ومسائل، ويذكر في بعض الموارد آسمه محمد بن الفضيل الأزرق. ينظر: أبو القاسم الخوئي: معجم رجال الحديث ١٥١/١٨.
(٢٦) وهي من ألقاب الإمام الكاظم عليه السلام التي يُلَقَّبُ بها، وقد ورد في أحاديث متعددة.
(٢٧) الكافي ٤٣٥/١ باب (فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية) الحديث ٩١.
(٢٨) الرواية طويلة وقد تضمنت أسئلة متعددة للإمام الكاظم عليه السلام، وقد آخترت هذا المقطع منها الوارد في سورة البقرة لترتيب الروايات التفسيرية كما في القرآن الكريم، وللتفصيل في الرواية ينظر: الكافي ٤٣٢/١-٤٣٥.
وهذا الحديث قد روي كذلك عن الإمام الباقر عليه السلام. الكافي ١٤٦/١ باب (النوادر) الحديث ١١.
(٢٩) حق اليقين في معرفة أصول الدين ٧٧/١.
(٣٠) عقائد الإمامية ص٧٦-٧٧.
(٣١) سورة يونس: الآية ٤٤.
(٣٢) سورة الكهف: الآية ٤٩.
(٣٣) الصحيفة السجادية ص٢٨٤.
(٣٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٠٢/٢.
(٣٥) التبيان في تفسير القرآن ٢٦٠/١.
(٣٦) سورة المائدة: الآية ٥٥.
(٣٧) مجمع البيان في تفسير القرآن ٣٢٦/٣ .
(٣٨) المولى محمد صالح المازندراني: شرح أصول الكافي ١٢٥/٧.
(٣٩) أحمد بن علي الطبرسي: الاحتجاج ٣٧٩/١.
(٤٠) الكافي ١٤٦/١ باب (النوادر) الحديث ٦.
(٤١) المصدر نفسه الحديث ٧.
(٤٢) سورة النجم: الآية ١١.
(٤٣) الصدوق، محمد بن علي بن الحسين: التوحيد: ١١٦ الحديث ١٦.

(٤٤) ينظر: آبن الجزري، محمد بن محمد: النشر في القراءات العشر ٦٣٧/٢.
(٤٥) التبيان في تفسير القرآن ٤٢٥/٩.
(٤٦) مجمع البيان في تفسير القرآن ٢٦٣/٩-٢٦٤.
(٤٧) التفسير الكبير ٢٤١/٢٨-٢٤٢.
(٤٨) ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن ٢٦٢/٩.
(٤٩) التفسير الكبير ٢٤١/٢٨-٢٤٢.
(٥٠) سورة النجم: الآيتان ١٧-١٨.
(٥١) الميزان في تفسير القرآن ٣٠/١٩.
(٥٢) المصدر نفسه.
(٥٣) الكافي ٩٧/١ باب (في إبطال الرؤية) الحديث ٦.
(٥٤) الكافي ٩٧/١ باب (في إبطال الرؤية) الحديث ٧ ، وقد ذكر الشيخ الصدوق في كتاب التوحيد باب (ما جاء في الرؤية) أربعًا وعشرين حديثًا في ذلك، ثم قال: ((ولو أوردتُ الأخبارَ التي رويتْ في معنى الرؤيةِ لطالَ الكتابُ بذكرِها، وشرحِها، وإثباتِ صحَّتِها، ومَنْ وَفَّقَهُ اللهُ تعالى ذكرهُ للرشادِ آمَنَ بجميعِ ما يردُ عن الأئمة عليهم السلام بالأسانيدِ الصحيحةِ، وسلَّمَ لهم، وردَّ الأمرَ فيما آشتبهَ عليهِ إليهِمْ؛ إذ كانَ قولُهُمْ قولَ اللهِ، وأمرُهُمْ أمرُهُ، وهُمْ أقربُ الخلقِ إلى اللهِ عز وجل، وأعلمُهُمْ بهِ صلواتُ اللهِ عليهِمْ أجمعينَ)). ص١٢٢.
(٥٥) الجامع الصحيح ١١٢/١ باب (إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى).
(٥٦) المصدر نفسه ١١٣/١ باب (معرفة طريق الرؤية).
(٥٧) ص٣٣٣ ، وقد ذكر العلامة الحلي آراء المعتزلة والأشعرية في المسألة وناقش ما يستند إليه العامة في رؤية الله تعالى وبيَّن بطلان ذلك. للتفصيل ينظر: ص٣٣٣-٣٤٠.
(٥٨) الإلهيات ١٢٧/٢ ، وقد بحث الشيخ المسألة بحثًا مفصَّلاً وبيَّن ما يتعلق به من جميع جوانبه. للتفصيل ينظر: ١٢٥/٢-١٤١.
(٥٩) سورة التوبة: الآية ١٠٥.
(٦٠) تفسير العياشي ١٠٩/٢.
(٦١) المصدر نفسه.
(٦٢) الكافي ٢١٩/١ باب (عرض الأعمال على النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام) الحديث٢.
(٦٣) تفسير العياشي ١٠٩/٢.
(٦٤) التبيان في تفسير القرآن ٢٩٥/٥.
(٦٥) مجمع البيان في تفسير القرآن ١٠٤/٥.
(٦٦) سورة البقرة: الآية ١٤٣.
(٦٧) سورة النساء: الآية ٤١.

(٦٨) التفسير الكبير ١٤٣/١٦.
(٦٩) سورة الانشقاق: الآيات ٧-١٥.
(٧٠) سورة الحاقة: الآيتان ١٨-١٩.
(٧١) سورة البقرة: الآية ١٤٣.
(٧٢) سورة ق: الآية ٢٢.
(٧٣) الميزان في تفسير القرآن ٣٨٠/١١.
(٧٤) إنَّ الرواية ظاهرة في بيان عرض الأعمال على خلفاء الله في أرضه، وقد أشار الإمام إلى ذلك، فضلاً عن بيانه في المراد من المؤمنين في الآية وقت نزولها.
(٧٥) ميزان الحكمة ٦٠٢/٢.
(٧٦) الشريف الرضي، محمد بن الحسين: نهج البلاغة ٢٢٥/٢.
(٧٧) الكافي ٤٥٣/٢.
(٧٨) سورة النحل: الآية ١٦.
(٧٩) تفسير العياشي ٢٧٧/٢.
(٨٠) علي بن إبراهيم: تفسير القمي ٣٨٥/١.
(٨١) ينظر: الحويزي، عبد علي: تفسير نور الثقلين ٤٥/٣-٤٦
(٨٢) التبيان في تفسير القرآن ٣٦٨/٦.
(٨٣) مجمع البيان في تفسير القرآن ٥٤٥/٥.
(٨٤) الميزان في تفسير القرآن ٢٢٥/١٢.
(٨٥) التفسير الكبير ١٩١/٢٠-١٩٢.
(٨٦) ينظر: البرهان في تفسير القرآن ٤٣٢/٤-٤٣٤.
(٨٧) تفسير العياشي ٢٧٦/٢ الحديث ٧ .
(٨٨) تفسير القمي ٣٢١/٢ ، تفسير العياشي ٢٧٧/٢ الحديث ٨، ٩.
(٨٩) الكافي ١٦١/١ الحديث ١،٢،٣ ، تفسير القمي ٣٨٥/١.
(٩٠) شرح الكافي ٣٠٨/٥-٣١٠.
(٩١) سورة النبأ: الآية ٣٨.
(٩٢) الكافي ٤٣٥/١. والحديث طويل في بيان ما يتعلق بالآيات المباركة الواردة في الولاية.
(٩٣) مجمع البيان في تفسير القرآن ٢٤٨/١٠. وينظر: البرهان في تفسير القرآن ٢٠٠/٨-٢٠١.
(٩٤) جامع البيان في تفسير القرآن ١٤/٣٠.
(٩٥) التفسير الكبير ٢٥/٣١.
(٩٦) الميزان في تفسير القرآن ١٨٨/٢٠.

(٩٧) سورة الأعراف: الآية ٤٩.
(٩٨) جامع البيان في تفسير القرآن ٤٧٠/١٢-٤٧١.
(٩٩) سورة النجم: الآية ٢٦.
(١٠٠) التبيان في تفسير القرآن ٤٣٠/٩.
(١٠١) سورة الإسراء: الآية ٧٩.
(١٠٢) تفسير الكشاف ٦٤٨/٢.
(١٠٣) ينظر: جامع البيان ٤٤/١٨-٤٨. وقد ذكر آثني عشر حديثًا في ذلك.
(١٠٤) مجمع البيان في تفسير القرآن ٢٢٣/١.
(١٠٥) للتفصيل ينظر: الميزان في تفسير القرآن ١٥٤/١-١٧٥.
(١٠٦) المجلسي، محمد باقر: بحار الأنوار ٣٧/٨.
(١٠٧) كنز العمال، المتقي الهندي ٣٩٩/١٤. وقد ذكر أكثر من خمسين حديثًا في شفاعة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم القيامة.
(١٠٨) ميزان الحكمة ١٩٥٤/٥.
(١٠٩) مجمع البيان في تفسير القرآن ٢٢٣/١.
(١١٠) بحار الأنوار ٣٤/٨.
(١١١) بحار الأنوار ٥٨/٨.

قائمة المصادر والمراجع

إن خير مانبتديء به القرآن الكريم.

١. الاحتجاج، أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي (ت٦٢٠هـ/١٢٢٣م)، تحقيق: الشيخ إبراهيم البهادري والشيخ محمد هادي، (مط إسوة، قم، ط٦، ١٤٢٥هـ).

٢. الإلهيات، الشيخ حسن محمد مكي العاملي، الإلهيات، (مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، قم، ط٦، ١٤٢٦هـ).

٣. البرهان في تفسير القرآن، السيد هاشم البحراني (ت١١٠٧/١٦٩٥م)، (مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ ١٩٩٩م).

٤. بحار الأنوار، الشيخ محمد باقر المجلسي (ت١١١٠هـ/١٦٩٩م)، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م).

٥. البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت٧٩٤هـ/١٣٩٢م)، تحقيق: محمد أبو الفضل، (المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م، د.ط).

٦. البيان في تفسير القرآن، السيد أبو القاسم الخوئي (ت١٤١٣هـ/١٩٩٢م)، (مط العمال المركزية، بغداد، ١٤٢٠هـ ١٩٨٩م).

٧. التبيان في تفسير القرآن، الشيخ محمد بن الحسن الطوسي (ت٤٦٠هـ/١٠٦٨م)، تحقيق وتصحيح: أحمد حبيب قصير العاملي، (مط مكتبة الإعلام الإسلامي، قم، ط١، ١٤٠٩هـ).

٨. تفسير العياشي، محمد بن مسعود العياشي (ت٣٢٠هـ/٩٣٢م)، تصحيح وتعليق السيد هاشم الرسولي المحلاتي، (مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط١، ١٤١١هـ ١٩٩١م).

٩. تفسير القمي، علي بن إبراهيم القمي (ق٣هـ)، (١٣١٣هـ، د.ط، د.مط، د.م).

١٠. التوحيد، محمد بن علي بن بابويه الشيخ الصدوق (ت٣٨١هـ/٩٩١م)، تعليق السيد هاشم الحسيني الطهراني، (الناشر دار المعرفة، بيروت، د.ط، د.ت).

١١. التفسير الكبير، محمد بن عمر بن الحسين الفخر الرازي (ت٦٠٦هـ/١٢٠٩م): تصحيح: مكتب تحقيق دار إحياء التراث العربي، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٤، ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م).

١٢. جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري)، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ/٩٩٢م)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، (مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م، د.م).

١٣. الجامع الصحيح، أبو الحسين مسلم بن الحجاج مسلم النيسابوري (ت٢٦١هـ/٨٧٥م)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط، د.ت).

١٤. حق اليقين في معرفة أصول الدين، السيد عبد الله شبر (ت١٢٤٢هـ/١٨٢٦م)، (مط مهر، قم، ط٣، ١٤٢٥هـ ٢٠٠٥م).

١٥. حق اليقين في معرفة أصول الدين، السيد عبد الله شبر (ت١٢٤٢هـ/١٨٢٦م)، (مط مهر، قم، ط٣، ١٤٢٥هـ ٢٠٠٥م).

١٦. شرح أصول الكافي، المولى محمد صالح المازندراني (ت١٠٨١هـ/١٦٧٠م)، تعليق: الميرزا أبو الحسن الشعراني، تصحيح: علي عاشور، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م).

١٧. الصحيفة السجادية، الإمام علي بن الحسين زين العابدين، تقديم: السيد محمد باقر الصدر، (مط رسول، ط١، قم، ١٤٢٦هـ ٢٠٠٦م).

١٨. طيبة النشر في القراءات العشر، أبو الخير محمد بن محمد آبن الجزري (ت٨٣٣هـ/١٤٢٩م): تعليق: الشيخ أنس مهرة، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٢٠هـ٢٠٠٠م).

١٩. عقائد الإمامية، الشيخ محمد رضا المظفر (ت١٣٨٣هـ/١٩٦٤م)، تحقيق: عبد الكريم الكرماني، (مؤسسة الرافد، بغداد، ٢٠١١م، د.ط).

٢٠. القرآن في الإسلام، السيد محمد حسين الطباطبائي (ت١٤٠٣هـ١٩٨٢م)، (مط سرور، قم، ط١، ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م).

٢١. الكافي، محمد بن يعقوب الشيخ الكليني (ت٣٢٩هـ/٩٤١م)، صححه وعلق عليه على أكبر الغفاري، (الناشر دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٨٨هـ، د.ط).

٢٢. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل (تفسير الكشاف)، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، (ت٥٣٨هـ/١١٤٣م)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٣٢١هـ ٢٠٠١م).

٢٣. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، علاء الدين علي بن حسام الدين المتقي الهندي (ت٩٧٥هـ/١٥٦٧م)، ضبطه: الشيخ بكري حياني، صححه: الشيخ صفوة السقا، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م، د.ط).

٢٤. مجمع البيان في تفسير القرآن، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت٥٤٨هـ/١١٥٣م)، (مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ ١٩٩٥م).

٢٥. معجم مصطلحات الرجال والدراية، محمد رضا جديدي نزاد، (مط دار الحديث، قم، الناشر دار الحديث، ١٤٢٤هـ).

٢٦. الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبائي (ت١٤٠٣هـ/١٩٨٢م)، تصحيح: الشيخ حسين الأعلمي، (مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ ١٩٩٧م).

٢٧. نهج البلاغة، محمد بن الحسين الشريف الرضي (ت٤٠٦هـ/١٠١٥م): شرح: محمد عبده، (مط الاستقامة، مصر، د.ط، د.ت).

٢٨. معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة، السيد أبو القاسم الخوئي (ت١٤١٣هـ/١٩٩٢م)، (ط٥، ١٤١٣هـ ١٩٩٢م. د.مط، د.م).

٢٩. مفردات غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ/١١٠٨م)، ضبط: هيثم طعيمي، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠٨م).

٣٠. مناهج اليقين في أصول الدين، أبو منصور الحسن بن يوسف بن المطهر العلامة الحلي (ت٧٢٦هـ/١٣٢٦م)، تحقيق: يعقوب الجعفري المراغي، (مط إسوة، ط١، ١٤١٥هـ، د.م).

٣١. مواهب الرحمن في تفسير القرآن، السيد عبد الأعلى بن علي السبزواري (ت١٤١٤هـ/١٩٩٣م): (مط الديواني، بغداد، د.ط، د.ت).

٣٢. ميزان الحكمة، محمد الريشهري، تحقيق: دار الحديث، (دار الحديث، الناشر: دار الحديث، قم، ط٢، ١٤١٦هـ).